الحوار

الحوار العدد ٨١ السنة ٣٠ ٢٠٢٣م

ملف العدد:

مائة عام على لوزان... قرن يفيض بمجازره

الـحـوار

مجلة ثقافية فصلية حرّة تهتم بالشؤون الكردية

وتهدف إلى تنشيط الحوار الكردي - العربي

تصدر في: سوريا ـ قامشلي

منذ عام ١٩٩٣م

رئيس التحرير

د. آزاد أحمد علي

العنوان: قامشلي- شارع الجسرين.

للمراسلة:

رئيس التحرير: azad48412@gmail.com

أسرة التحرير: kurdox88@gmail.com

أسرة التحرير:

- **د. آزاد أحمد علي**
- **نواف بشار عبد الله**
- **سلمان بارودو**
- **محمد دلي**
- **د. بدرخان علي**

* الآراء الواردة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها.

* أفضلية النشر للدراسات والمقالات الجديدة والموثقة علمياً.

* تحبذ المجلة عند إرسال المساهمات مراعاة ما يلي:

- أن تكون المادة جديدة، منقحة ومنضدة ولم تنشر من قبل.

- الإشارات المرجعية الموثقة تثبت بالترتيب:

اسم المؤلف - عنوان الكتاب - مكان الطباعة وتاريخها- رقم الصفحة.

- تثبيت الإشارة إلى الروابط الالكترونية في الهوامش بوضوح.

حقوق الطبع والاقتباس محفوظة للمجلة

تموز ٢٠٢٣م

- صورة الغلاف الأول: شريف باشا خندان (١٨٦٥ ــ ١٩٥١)

- صورة الغلاف الثاني: لوحة التفاحة للفنان رحيمو حسين.

محاور واهتمامات مجلة «الحوار» للأعداد القادمة

القرّاء والكتّاب الأعزاء...

أسرة تحرير مجلة «الحوار» تقترح عليكم المساهمة في ملفاتها للأعداد القادمة، والتي تتوزع على الشكل التالي:

- موجبات الحوار الكردي- العربي والحوار السوري – السوري، ضروراته الاجتماعية والسياسية.

- مستقبل سورية السياسي في ظل المتغيرات الراهنة.

- تاريخ القرى الكردية وجوانب من حياتها الاجتماعية.

- دراسات في الأدب واللغة الكردية.

- دراسات ومواضيع حول: الآثار، التاريخ الكردي، الفلكلور.

- الهجرة بأشكالها (الأسباب ... النتائج ... الحلول).

- قراءات في الكتب والمطبوعات، الوثائق والخرائط.

يمكنكم اختيار أي جانب من المحاور المذكورة أعلاه، ونرحب في الوقت نفسه بجميع الدراسات والمساهمات الواردة إلينا بخصوص المواضيع المحددة في سياق المحاور المقترحة أو خارجها.

كما نرحب بأية ملاحظة أو نقد يرد إلينا بخصوص مجمل تجربتنا السابقة، أو أي مادة نشرت فيها.

وذلك بهدف الارتقاء بالحالة الثقافية والفكرية الكردية نحو أفق أكثر ديمقراطية وتنويراً، ونتعهد بتأمين المناخ الديمقراطي الذي يوفر حرية عرض وجهات النظر كافة، والرأي المختلف، لجميع أصدقائنا وقرائنا في الوسطين العربي والكردي على حد سواء.

وذلك لنشر ثقافة عقلانية مستنيرة ووعي متقدم يحيط بحقيقة مشكلات واقعنا بكامل أبعاده.

وبهذه المناسبة ننوه إلى أن مجلتنا متوفرة على شبكة النت عبر:

موقع نوروز: **www.yek-dem.net**

وصفحة الحوار: **https://www.facebook.com/alhiwarmagazine /**

الافتتاحية

١٠٠ عام على معاهدة الغدر

تم طي صفحة مئة سنة على التوقيع على معاهدة لوزان يوم ٢٤ تموز ٢٠٢٣. وهي المعاهدة التي صاغت النظامَ السياسي لمنطقة الشرق الأوسط. ورسمتْ حدودَ دولها المعاصرة. وقد شكلتْ معاهدة لوزان خاتمةً وبلورةً لجملةٍ من الأفكار، ولسلسلةٍ من الاتفاقيات، وكانت تتويجاً لها جميعاً. ففي سنة ١٩١٨ تمَّ التوقيعُ على هدنة مودروس، التي استسلمت بموجبها الحكومة العثمانيةُ للقوات المتحالفة المنتصرة عليها في الحرب العالمية الأولى، واحتلّتْ إثرَها العاصمةَ إستانبول. وبعد أشهرٍ طويلةٍ من مفاوضات السلام في باريس، تمَّ التوقيعُ على معاهدة سيفر في ١٠ آب ١٩٢٠، بحضور الوفد الكوردي برئاسة شريف باشا. حيث تمَّ تثبيتُ الحقوق الأساسية لشعوب المنطقة في معاهدة سيفر، وخاصةً حقُّ تقريرِ المصير السياسي بما فيه الاستقلال لجميع الشعوب غير الناطقة باللغة التركية. تلك التي كانت تخضعُ لسلطة العثمانيين. كما أقرَّ المؤتمرُ بتقسيم السلطنة العثمانية بين الأمم المكونة لها. ومن ضمنها الأمة الكوردية، الذي منح نُخبَه وزعاماتِه مهلة ستة أشهرٍ لإجراء استفتاءٍ بإشراف عصبة الأمم في كل مناطق ايالة كوردستان العثمانية، وخاصة ولايات شرق نهر الفرات. لكن سرعان ما رفضت السلطات القومية التركية الصاعدة تطبيق بنود معاهدة سيفر. فأعادتْ تنظيمَ صفوفِ قواتها، انسحبت القيادة

القومية التركية الجديدة الى شرق الأناضول، واتخذت من المجلس التركي مشروعيةً وغطاءً لقيادة تركيا من مناطق كوردستان، وخاصةً (سيواس). ثم استقوتْ بالكورد ووعدتْهم بكافة الحقوق القومية وطالبتهم بالتضامن الإسلامي. مما دفعَ بأغلبية الكورد للوقوف معهم لصد قوات الاحتلال لدول الحلفاء. ثم ماطلتْ هذه الحكومة بقيادة مصطفى كمال، وناورتْ مع كل الأطراف الموقعة على اتفاقية سيفر. ثم خاضتْ هذه الحكومة التركية الخارجة عن سلطة السلطان العثماني انطلاقاً من سيواس حرباً مع قوات الحلفاء واليونانيين. وحققتْ انتصاراتٍ على الأرض، حتى فرضتْ شروطاً جديدةً. فكانت اتفاقية لوزان عملياً طياً لصفحة اتفاقية سيفر. وتمَّ التوقيعُ عليها في مدينة لوزان السويسرية بتاريخ ٢٤/٧/ ١٩٢٣. مررتْ عبرها صفقةً استعماريةً كبرى في الشرق الأوسط، خرجتْ أغلبُ الأطرافٍ منها منتصرةً، أو قد حصلت على قسم من الغنيمة العثمانية إلا الكورد كانوا الخاسرين الأول والأخير في هذه المعاهدة – الصفقة.

فإذا كانت لوزان عند بعض الشعوب تحقيقاً للحقوق وانجازاً سياسياً، وبداية مسيرة بناء الدولة. فإنها شكلتْ لدى الكورد بدايةَ تقسيم بلادِهم (ايالة كوردستان العثمانية) بين ثلاث دولٍ: تركيا العراق، وسوريا. لقد دشنتْ معاهدة لوزان لمرحلة المجازر وحروب الإبادة ضد المجتمعات الكوردية. وقمعَ الأتراكُ، وغالبيةُ الدولِ الموقعة على لوزان والمتعاونة معها انتفاضاتِ الكورد، وثوراتهم الرافضةِ لتقسيم بلدهم واستمرار الحكم التركي فيها. لقد تمَّ قمعُ انتفاضة الشيخ محمود البرزنجي ١٩٢٤، وثورة الشيخ سعيد بيران ١٩٢٥. وثورة آرارات الكبرى (١٩٢٧ -١٩٣٠). وثورة ديرسم (١٩٣٧- ١٩٣٨) بوحشيةٍ بالغةٍ. حتى كانت حصيلةُ قمعِ هذه الثوراتِ، وما تلتْها من انتفاضات معاصرةٍ في كوردستان العراق، أكثر

من ثلاثة ملايين من الضحايا، وتهجير ثلث سكان كوردستان منها. إضافة الى تدمير أو اخلاء ما يقارب عشرة آلاف قرية، بما فيها التي دمرت في مرحلة حكم البعث في العراق.

لذلك، تُعَدُّ هذه المعاهدةُ بالنسبة للكورد بدايةَ عصرِ المجازر والقتلِ والتشريدِ، والتنكر لأبسط حقوق الانسان، وحقِّ الشعوبِ في تقرير مصيرها السياسي. كانتْ لوزان وستظلُّ معاهدةَ الغدرِ بحق الأمة الكوردية وستظلُّ ذكرى مرورها يوماً قاتماً وحزيناً في تاريخ هذا الشعب المظلوم. حتى وصفَها المؤرخون: «بأنها معاهدةُ غيرُ أخلاقيةٍ وقد كُتبتْ بيد الشيطان»!

تطلبت هذه الذكرى الحزينةُ التوقفَ عندها مطولاً، وقد خصصْنا جُلَّ هذا العددِ لدراستها، في سرديتين مسهبتين. سلَّطْنا فيهما الضوءَ على جوانبَ خفيةٍ من تلك المعاهدة، كما سَعيْنا للتذكير بالنظام الإقليمي السياسي الجائر، وغير الإنساني المعادي لحقوق الانسان والشعوب، هذا النظام غير الجدير بالاحترام، الذي مازال يسودُ المنطقة، ويتنكّرُ لحقوق الأفراد والجماعات فيها. وكما اعتدنا في مجلة الحوار فإننا سوف نستمرُّ في الوقوف إلى جانب المضطهَدين وتسليطَ الضوءِ على كل ما هو معادٍ للمجتمعات وحريات الشعوبِ، وسنغردُ لكل ما هو انسانيٌّ، لكل ما هو داعمٌ لحقِّ المجتمعاتِ في الحرية والكرامة والتعليمِ والسيادةِ.

أسرة التَّحْرِيرِ

ملف العدد:
مائة عام على لوزان... قرن يفيض بمجازره

١- الكرد ولوزان بعد قرن

٢- استقلال كوردستان العثمانية بين سيفر ولوزان

الكرد ولوزان بعد قرن

فارس عثمان

تقوم السلطات التركية منذ فترة بالحديث المتكرر عن معاهدة لوزان والذكرى المئوية للتوقيع عليها وتنشر وسائل الإعلام التركية بين فترة وأخرى معلومات غير دقيقة ومضللة عنها بقصد التأثير على الرأي العام

التركي وحتى العالمي، علما أن المعاهدة والتصديقات عليها أودعت في باريس، وقد قام المعهد المصري للدراسات بترجمة المعاهدة ترجمة كاملة إلى اللغة العربية عام ٢٠٢٠.

وقد ثار جدل كبير خلال السنوات الماضية حول الاتفاقية ونصوصها، والموقف التركي والكردي منها، فالأتراك يطالبون بالعودة إلى الميثاق الملي، الرافض لحدود تركيا الحالية، والقول إن «تركيا فقدت مساحات شاسعة من أراضيها ولا بد من استعادتها". أما الكرد فينظرون إليها نظرة سلبية وأنها حرمت الكرد من تأسيس دولتهم القومية كردستان كما وردت في اتفاقية سيفر.

وقد تم توقيعها في مدينة لوزان السويسرية في الرابع والعشرين من شهر تموز عام ١٩٢٣، بين الحلفاء المنتصرين في الحرب العالمية الأولى، وعلى رأسهم بريطانيا وفرنسا، من جانب؛ وحكومة الجمعية الوطنية الكبرى لتركيا برئاسة كمال أتاتورك، من جانب آخر، التي تم من خلالها تسوية أوضاع الأناضول والقسم التركي الأوروبي من أراضي الدولة العثمانية، والديون المترتبة على تركيا، وأخطر ما فيها هو إلغاء معاهدة سيفر.

تتألف معاهدة لوزان من ١٤٣مادة وخمسة أجزاء ((الجزء الأول: البنود السياسية، الجزء الثاني: البنود المالية، الجزء الثالث: البنود الاقتصادية. الجزء الرابع: الاتصالات والمسائل الصحية، الجزء الخامس: أحكام متنوعة))[١] وكل جزء يتألف من عدة أقسام.

تعتبر اتفاقية لوزان ١٩٢٣ من أخطر الاتفاقيات الدولية التي اثرت

١ - (رفيق)، عادل، النص الكامل لمعاهدة لوزان ١٩٢٣، ص ٣. المعهد المصري للدراسات، القاهرة، ط١ ٢٠٢٠.

على الوضع الكردي والكردستاني، بعد تقسيم كردستان لأول مرة إثر معركة جالديران ١٥١٤ بين الدولتين العثمانية والصفوية، وتثبيت ذلك التقسيم نهائياً بموجب معاهدة قصر شيرين (زهاو) ١٦٣٩. التي أُبرمت بين الإمبراطوريتين المذكورتَين. التي منحت الفرصة لإعادة إحياء الدولة العثمانية بعد انهيارها في الحرب العالمية الأولى باسم الدولة " التركية "، ووضعت العراقيل أمام الآمال الكردية بتطبيق بنود اتفاقية سيفر، وإنشاء دولة كردية باسم كردستان.

جاءت اتفاقية لوزان إثر تطورات دراماتيكية شهدتها المنطقة بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ – ١٩١٨ ومن ثم مؤتمر الصلح في باريس ١٩١٨ – ١٩٢٠، واتفاقية سيفر ١٩٢٠ التي دعت إلى استقلال كردستان عن الدولة العثمانية وتأسيس دولة كردية باسم كردستان. فبعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى واستسلامها في مودرس ١٩١٨، دعت الجمعيات والصحف الكردية إلى استغلال ذلك وإعلان الاستقلال وتأسيس دولة كردية، وقد ساعد على ذلك استقلال البلاد العربية بعد ثورة الشريف حسين، ووعود الحلفاء خاصة بريطانيا التي طالبت: «بتحرير الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية»، ووصول الضابط الإنكليزي نوئيل إلى كردستان، والاتصال بالزعماء ورؤساء العشائر الكردية. لمعرفة موقف الكرد من العرض البريطاني بفصل كردستان عن تركيا، وتأسيس دولة كردية، الذي كان يردد وبحماس: ((بأن على الكرد الاعتماد على وعود بريطانيا العظمى))[٢]. وعزز ذلك الدعوة لعقد مؤتمر عام للسلام «مؤتمر الصلح» في باريس ١٩١٨ - ١٩٢٠، لإعادة تقسيم تركة الإمبراطورية العثمانية والألمانية.

٢ - (مظهر)، د. كمال أحمد، كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى. ص ٣٣٧.

مؤتمر الصلح:

انعقد في باريس بمشاركة ٣٢ دولة ووفود غير رسمية في ١٨ كانون الثاني ١٩١٨ واستمرت أعماله لغاية ٢١ كانون الأول من عام ١٩٢٠، وقد ساد المؤتمر جو من التنافس الاستعماري بين الدول المنتصرة بريطانيا وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة لتقسيم ممتلكات ألمانيا والدولة العثمانية، وجاءت معظم قرارات المؤتمر لصالح كل من بريطانيا و فرنسا، وقد حاول الكرد تحقيق أمانيهم القومية بالاستقلال والانفصال عن الدولة العثمانية، من خلال هذا المؤتمر، معتمدين على وعود بريطانيا ومبادئ الرئيس الأمريكي ولسون: "حق الشعوب في تقرير مصيرها[٣]* ".

الوفد الكردي في مؤتمر باريس:

شارك الكرد في المؤتمر بوفد غير رسمي برئاسة الجنرال شريف باشا، ((الذي انتخب لرئاسة الوفد الكردي من قبل جمعية تعالي وترقي كردستان، وحزب استقلال الكرد ، والجمعية الكردية، والحزب الديمقراطي الكردي، لتمثيل الكرد في المؤتمر.))[٤]، وضم الوفد فخري عادل بك، وعادل بك الماردیني، وصالح بك حسني مدير شؤون شريف باشا، وغالب علي بك سكرتير شريف باشا. وحاول الشيخ محمود الحفيد حاكم السليمانية إرسال وفد خاص إلى باريس للالتحاق بشريف باشا[٥]*، إلا أن الإنكليز حالوا دون وصوله.

٣ - مبادئ ولسون: وضعها الرئيس الأمريكي وودر ويلسون عام ١٩١٨، وتتألف من ١٤ مادة ، ترتكز على مبدأ الاهتمام بمستقبل السلم والأمن في الشرق الأوسط.

٤ - (شيركو) د. به له ج، القضية الكردية. ص ٨٢.

٥ - الجنرال: شريف باشا: هو محمد شريف بن سعيد باشا بن حسين باشا الخندان، من عائلة بابان الكردية المشهورة، التي تسنمت الكثير من الوظائف العليا في الدولة العثمانية، فكان والده وزيراً للخارجية ثم رئيساً لمجلس شورى الدولة. عين عام ١٨٩٨ وزيرا مفوضا للدولة العثمانية في استوكهولم وظل في منصبه حتى اعلان الدستور العثماني ١٩٠٨، ثم عاد إلى تركيا وانخرط في صفوف الحركة الكردية وساهم في تأسيس جمعية تعالي وترقي كردستان مع أمين عالي بدرخان.

لعب الوفد الكردي رغم صغر حجمه، دورا بارزا في المؤتمر، رغم العراقيل التي وضعت أمامه من قبل الدولة العثمانية التي سعت لمنع مشاركة الكرد في المؤتمر، كذلك لم ترتاح بريطانيا وفرنسا، لوجود وفد يمثل الكرد في المؤتمر، لأنها ارادت الانفراد بحل المسألة الكردية وفق مصالحها الخاصة.

وفور وصول شريف باشا إلى باريس أتصل بممثلي أغلب الدول المشاركة في المؤتمر، لشرح القضية الكردية. خاصة ممثل بريطانيا وعرض عليه: «وضع كردستان تحت الانتداب البريطاني». ونسق الجهود مع الوفد الأرمني الذي شارك في المؤتمر بوفدين. أحدهما برئاسة أواديس أوهانيسيان رئيس وفد الجمهورية الأرمنية، والثاني برئاسة الوزير بوغوص نوبار باشا الوزير المصري السابق الذي كان يمثل المقاطعات الأرمنية في الأراضي التركية.

في ٢٩ كانون الثاني من عام ١٩١٩ جرى الحديث لأول مرة عن كردستان والقضية الكردية في المؤتمر من قبل ممثل الوفد البريطاني الذي دعا إلى فصل ((أرمينيا وسوريا وميزوبوتاميا وكردستان وفلسطين وشبه الجزيرة العربية عن الامبراطورية التركية فصلاً تاماً...))[٦].

موقف بريطانيا:

كانت من أكثر الدول اهتماماً بكردستان، بسبب موقعها الهام في قلب الشرق الأوسط: «التي تسعى بريطانيا للسيطرة عليه برمته». ولقربها من منطقة الخليج ومنابع النفط العربية والإيرانية. وازداد اهتمامها بكردستان بعد اكتشاف النفط فيها وبكميات كبيرة.

٦ - (أبو بكر) ، د. أحمد عثمان، كردستان في عهد السلام. ص ٨.

موقف فرنسا:

اهتمت فرنسا بكردستان، لأن السياسة الفرنسية كانت ترتكز بشكل رئيسي على السيطرة الاقتصادية والمالية على الدولة العثمانية، وبسط سيطرتها على شرق المتوسط، خاصة «سوريا ولبنان». وكان النفوذ الفرنسي واضحا في كردستان من خلال البعثات التبشيرية، والمدارس الفرنسية، والمشاريع الاقتصادية.

وجهة النظر الكردية:

ورداً على فكرة تقسم كردستان أرسل شريف باشا رئيس الوفد الكردي في المؤتمر رسالة إلى رئيس الوزراء الفرنسي جورج كليمنصو بوصفه رئيساً للمؤتمر، طالب فيها باستقلال كردستان وعرض وجهة النظر الكردية على " المجلس الأعلى للمؤتمر " من خلال مذكرتين الأولى باللغة الفرنسية في ٢٢ آذار من عام ١٩١٩ وهي تحمل توقيع الجنرال شريف باشا رئيس الوفد الكردي إلى مؤتمر باريس، وقد طبعت على شكل كراس خاص يقع في ١٤ صفحة. وتضمنت ((المطالب المشروعة للأمة الكردية))، وطالب بتأسيس دولة كردية مستقلة، وفق مبادئ ولسون «حق الشعوب في تقرير مصيرها» وفي المذكرة معلومات عن الكرد ومناطق سكناهم، ووضعهم، ونضالهم، ومطالبهم. وعلاقتهم مع الأرمن. مرفقة بخارطة لكردستان ضمت كردستان تركيا، وجزءً كبيراً من ولاية الموصل.

وقدم المذكرة الثانية في ١آذار ١٩٢٠، شدد خلالها على ضرورة فصل الأراضي الكردية عن الدولة العثمانية، وتأسيس دولة كردية مستقلة على غرار الدولة الأرمنية. بحدود على كل من بحر قزوين والبحر المتوسط، لتصدير الثروات الكردستانية إلى الخارج. ودعا فيها إلى تشكيل لجنة

دولية تشرف على ضم الأراضي التي يؤلف الأكراد فيها الأكثرية إلى الدولة الكردية المستقلة «كردستان».

وحاول الرئيس الامريكي ولسون من خلال جلسات المؤتمر تقليص النفوذ البريطاني – الفرنسي في منطقة الشرق الأوسط ، بطرح فكرة الانتداب[٧]* على الشعوب والمناطق التي يتم فصلها عن الامبراطورية العثمانية. إلا أن انسحاب الوفد الأمريكي من المؤتمر، وتشابك مصالح بريطانيا وفرنسا، أديا إلى الإسراع بالبحث عن تفاهمات واتفاقيات لتقاسم التركة العثمانية «الغنية»، واستمرت المفاوضات حتى توصلت بريطانيا وفرنسا إلى اتفاق أولي على تقاسم التركة العثمانية في مؤتمر سان ريمو في ٢٤ تموز ١٩٢٠ بالاعتراف بالانتداب البريطاني على العراق وفلسطين، والانتداب الفرنسي على سورية ولبنان. والتمهيد لاتفاقية سيفر.

معاهدة سيفر ١٠ آب ١٩٢٠

تتألف من ١٣ باباً و٤٣٣ بنداً، أعدتها خمس لجان خاصة تفرعت من مؤتمر الصلح في باريس. وقد جاءت وفق مصالح الدول الاستعمارية ولا سيما إنكلترا وفرنسا. وقد سميت هذه المعاهدة بمعاهدة سيفر نسبة إلى مدينة سيفر الفرنسية القريبة من باريس، وتم التوقيع عليها في ١٠ آب ١٩٢٠ بين إنكلترا وفرنسا وإيطاليا واليابان وبلجيكا واليونان ورومانيا وبولونيا والبرتغال وجيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا والحجاز وأرمينيا من جهة، والإمبراطورية العثمانية من جهة أخرى.

احتلت القضية الكردية مكاناً بارزاً في معاهدة سيفر اذ خصص القسم

٧ ـ الانتداب: حسب ميثاق الأمم المتحدة هو تمكين دولة تدعي مساعدة البلدان الضعيفة المتأخرة على النهوض وتدريبها على الحكم، حتى تصبح قادرة على أن تستقل وتحكم نفسها بنفسها. بشرط أن تراعى رغبة البلد المشمول بالانتداب في اختيار الدولة المنتدبة.

الثالث من الباب الثالث من المعاهدة لمعالجة المسألة الكردية وحمل هذا القسم عنوان: «كردستان» ويتألف من البنود ٦٢,٦٣,٦٤ ((التي هدفت إلى انشاء دولة كردية مستقلة في تركيا، يمكن أن ينضم إليها أكراد كردستان العراق «ولاية الموصل» إذا ارادوا ذلك. كما تطرقت المعاهدة إلى القضية الكردية أكثر من مرة خلال مناقشة المسألة الأرمنية ومسألة الأقليات داخل تركيا. كالفصل الرابع الذي هدف إلى حماية الاقليات. والفصل السادس الذي حمل عنوان « أرمينيا »، والفصل السابع الذي حمل عنوان « سوريا، ميزوبوتاميا، فلسطين.))[٨].

البند ٦٢:

تقوم لجنة مؤلفة من ثلاثة أعضاء معينين من قبل الحكومات البريطانية والفرنسية والايطالية مركزها اسطنبول، خلال ستة أشهر من تاريخ تنفيذ مفعول هذه المعاهدة، بإعداد مشروع حكم ذاتي محلي للمناطق التي يشكل فيها الأكراد الأكثرية والتي تقع إلى الشرق من الفرات وإلى الجنوب من الحدود الجنوبية لأرمينيا، كما تحدد فيما بعد، وإلى الشمال من الحدود التركية مع سوريا وميزوبوتاميا بشكل متوافق مع الوصف الوارد في " ١١,٣,٢ " من البند السابع والعشرين من المعاهدة.

وفي حالة حدوث اختلاف في الرأي حول موضوع ما، يعرض الاختلاف من قبل أعضاء اللجنة على حكوماتهم المعنية ويجب أن تتضمن هذه الخطة الضمانات التامة لحماية الآشوريين – الكلدان وغيرهم من الأقليات العنصرية أو الدينية الداخلة في هذه المناطق. ومن أجل هذا الغرض تقوم لجنة مؤلفة من ممثلين بريطاني وفرنسي وايطالي وإيراني وكردي بزيارة الأماكن لدراسة التغيرات التي يجب اجراؤها، عند الحاجة

٨ - (مظهر)، د. كمال أحمد، كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى. ص ٣٤٤

في الحدود التركية حيثما تلتقي بالحدود الإيرانية، ولتقريرها، بحكم قرارات هذه المعاهدة.

البند ٦٣:

تتعهد الحكومة التركية من الآن بالاعتراف بقرارات اللجنتين المذكورتين في البند ٦٢ والقيام بتنفيذها خلال ثلاثة أشهر من تاريخ ابلاغها بها.

البند ٦٤:

((إذا راجع الأكراد القاطنون في المناطق الواردة ضمن البند ٦٢، مجلس عصبة الأمم خلال سنة من نفاذ هذه المعاهدة، مبينين أن أكثرية سكان هذه المناطق يرغبون في الاستقلال عن تركيا.

وإذا وجد المجلس آنذاك أن هؤلاء جديرون بمثل ذلك الاستقلال وإذا أوصى – المجلس- بمنحهم إياه، فإن تركيا تتعهد من الآن أن تراعي تلك الوصية، فتتخلى عن كل مالها من حقوق وحجج قانونية في هذه المناطق، وتصبح تفاصيل هذا التنازل موضوع اتفاق خاص بين الدول الحليفة الرئيسة وتركيا.

وإذا وقع مثل هذا التخلي، وفي الوقت الذي يحدث فيه، فان الدول الحليفة الرئيسة لن تضع أي عراقيل بوجه الانضمام الاختياري للأكراد القاطنين في ذلك الجزء من كردستان الذي مازال حتى الآن ضمن ولاية الموصل، إلى هذه الدولة الكردية المستقلة))[٩].

رغم هذه الوعود بضمان حقوق الكرد حتى الاستقلال، إلا أن كل الدلائل كانت تشير إلى أن الحلفاء لم يكونوا جادين في تنفيذ بنود المعاهدة بالقوة، إذ لم تصادق عليها من بين جميع الدول الموقعة عليها سوى ايطاليا.

٩ - (مظهر)، د. كمال أحمد، كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى. ص ٣٤٦.

نتيجة تغير موازين القوى وتعزيز موقع الكماليين في أنقرة الذين لم يعترفوا بحكومة فريد باشا التي وقعت على معاهدة سيفر.

رغم وعود الحلفاء بضمان حقوق الكرد حتى الاستقلال، إلا أن كل الدلائل كانت تشير إلى أنهم لم يكونوا جادين في تنفيذ بنود المعاهدة بالقوة، إذ لم تصادق عليها من بين جميع الدول الموقعة عليها سوى ايطاليا، نتيجة تغير موازين القوى وتعزيز موقع الكماليين في أنقرة الذين لم يعترفوا بحكومة فريد باشا في إستانبول التي وقعت على معاهدة سيفر. وخارجياً بفضل إقامة علاقات وطيدة مع الاتحاد السوفياتي، وإبرام معاهدة موسكو «معاهدة الأخوة والصداقة» مع روسيا الاتحادية في ١٦/٣/١٩٢١، التي ((تضمنت التعاون المشترك بين البلدين، وتقديم الدعم المادي والعسكري لتركيا، بالإضافة إلى إعادة ترسيم الحدود بين البلدين واقتسام بعض الأراضي.))[١٠]. وأبدت الحكومة السوفيتية ((رغبتها بإقامة علاقات دبلوماسية وقنصلية مع حكومة أنقرة، واستعدادها للقيام بدور الوسيط في المحادثات بين تركيا وأرمينيا وإيران))[١١]، واعترف الاتحاد السوفييتي بحكومة المجلس الوطني الكبير برئاسة كمال أتاتورك. وبذلك كانت أول دولة تعترف بالحكومة الحكومة الجديدة في أنقرة. وأدى ذلك إلى تغيير موقف الدول الغربية من تركيا

على الصعيد الكردي:

عززت اتفاقية سيفر الآمال بإنشاء دولة كردية مستقلة، وعندما تأكد لهم أن حكومة كمال اتاتورك لا تعترف بهذه المعاهدة، وترفض منح الكرد اي حق من حقوقهم حتى ((الحكم الذاتي)) تحرك الزعماء الكرد لتنفيذ

١٠ - (نيكيتين)، باسيل، الكرد، ص ١٩٠.

١١ - (النعيمي)، د. أحمد نوري، العلاقات الروسية التركية، ص ٢٦.

ذلك. وقام خالد بك جبري بالتعاون مع عبد القادر النهري وعبد الرحمن حكاري ويوسف زيا بنشاط واسع والعمل من أجل تطبيق ما جاء في معاهدة سيفر على أرض الواقع.

وأرسلت جمعية انبعاث كردستان عدة مذكرات لعصبة الأمم ((لتنفيذ ما ورد في معاهدة سيفر، وتم ارسال برقية إلى مجلس الأمة التركي للمطالبة بدولة كردية في ولايات: ديار بكر، العزيز، وان، بتليس. كما ورد في معاهدة سيفر، وإلا سيضطر الكرد إلى انتزاع هذا الحق بقوة السلاح))[١٢]. وحاولت حكومة أنقرة شق الصف الكردي والادعاء بأن الحكومة تدرس مطالب الكرد، وستتخذ قرارات لصالح الكرد. ففي مؤتمر أرزروم ١٩١٩ (٢٣ تموز – ٤ آب ١٩١٩) أعلن كمال اتاتورك أن على الكرد والاتراك محاربة الأعداء معا، وأن الاتراك والاكراد شركاء في هذا الوطن، لكن في مؤتمر سيواس (٤-١١ أيلول ١٩١٩) غيره موقفه من المطالب الكردية واتهم الصدر الأعظم بالخيانة لأنه وافق على منح الكرد الحكم الذاتي وقد ((بالغ اتاتورك في صداقة وعلاقة الكرد مع الإنكليز، واتهمهم بالعمالة للإنكليز.))[١٣]. تمهيدا لضرب حركاتهم.

إلا أن ذلك لم يقنع الزعماء الكرد، وعندما تأخر الرد التركي على المطالب الكردية، اندلعت ثورة كردية عام ١٩٢١ شملت مناطق واسعة من كردستان، تم اخمادها بوحشية. ومن مجريات الأحداث على الأرض، ونظرا لتغير الموقف الدولي من الكرد ومعاهدة سيفر، توجه الجميع إلى إعادة النظر في سيفر. فكان مؤتمر لندن.

مؤتمر لندن: ٢١- شباط ولغاية ١٤ – آذار عام ١٩٢١:

١٢ - (حسرتيان)، م، كردستان تركيا بين الحربين، ص ٣٥.

١٣ - (لازاريف)، م، س، المسألة الكردية ١٩١٧-١٩٢٣م، ص ٢١٤.

عقد في العاصمة البريطانية لندن بين الحلفاء وتركيا «بمشاركة وفد تركي موحد برئاسة أول وزير خارجية تركي بكر سامي بك». وفي ٢٦ شباط ١٩٢١ جرى بحث المسالة الكردية بصورة خاصة ومنفردة، وألمحت دول الحلفاء إلى أنها ((تعتزم تقديم تنازلات أمام تركيا وإعادة مناقشة مستقبل كردستان وأرمينيا.))[١٤].

وقد رفضت تركيا مناقشة وضع الكرد وكردستان في المؤتمر وأصرت على أن الوفد يمثل تركيا وكردستان أيضاً، وأن المسالة الكردية مسألة داخلية، وطالبت بإلغاء بنود معاهدة سيفر المتعلقة بكردستان. وتمسكت بريطانيا بالملف الكردي وبدت وكأن بريطانيا وحدها معنية بالحفاظ على معاهدة سيفر وتطبيق بنودها المتعلقة بالقضية الكردية، وأخذت فرنسا بمغازلة كمال اتاتورك الذي حسن وضعه الداخلي بالتحالف مع الاتحاد السوفياتي، والانتصارات المتتالية على القوات اليونانية. وعندما وجدت بريطانيا أن حكومة انقرة ثابتة على موقفها ألمحت إلى أنها: على ((الاستعداد لتعديل معاهدة سيفر))[١٥]، دون المساس بجوهرها العام. وتخلت بريطانيا عن الاستقلال والدولة الكردية وطلبت من الحكومة التركية ((منح الاستقلال الذاتي للولايات التي يعيش فيها غالبية كردية، وتحديد حدودها بدقة))[١٦]. فرد وزير الخارجية التركية بكر سامي: ((بأن الاستقلال الذاتي لن يمنح للأكراد وحدهم، بل بوجه عام لجميع الولايات، وسيتم تطبيق لا مركزية واسعة.))[١٧]. وعلى هامش المؤتمر وقعت فرنسا مع حكومة أنقرة اتفاقية عسكرية، سياسية، اقتصادية عززت من خلالها مصالحها في تركيا.

١٤ - (لازاريف)، م. س، المسألة الكردية، ص ٤٣٤.
١٥ - (مظهر)، د. كمال أحمد، كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى. ص ٣٤٩.
١٦ - (أبو بكر)، د. أحمد عثمان، كردستان في عهد السلام. ص ٢٢٧.
١٧ - (أبو بكر)، د. أحمد عثمان، كردستان في عهد السلام. ص ٢٢٧.

وقامت بتعديل حدود الانتداب الفرنسي على ١٩٢١ سوريا.

وبعد أن ضمنت بريطانيا سيطرتها على « ولاية الموصل » تحسنت العلاقات البريطانية – التركية، فأعلن وزير الخارجية التركية: ((أن ميزوبوتاميا ثمن بخس مقابل الصداقة البريطانية.))[١٨]. هكذا كان مؤتمر لندن أكثر من خطوة إلى الوراء بالنسبة للقضية الكردية، وتكريس لتجزئة كردستان، تخلت فيه بريطانيا وبقية حلفائها عن كردستان لأنقرة عدا كردستان الجنوبية التي تقع ضمن ولاية موصل.

مؤتمر شؤون الشرق الأوسط المعروف باسم مؤتمر لوزان ١٩٢٣

تمت الدعوة لعقد مؤتمر شؤون الشرق الأوسط المعروف باسم (مؤتمر لوزان) في مدينة لوزان بسويسرا في٢٠ تشرين الثاني من عام ١٩٢٢ الذي استمر لثمانية أشهر، مع انقطاعات بلغت حوالي ٣ أشهر. وكان هدف المؤتمر التفاوض على معاهدة جديدة مع الحكومة التركية في أنقرة التي رفضت الاعتراف بمعاهدة سيفر، وبعد مفاوضات شاقة وطويلة تم تسوية الخلافات بين بريطانيا وفرنسا من جهة، والحكومة التركية الجديدة برئاسة كمال اتاتورك ((رفض بشدة الحقوق القومية والسياسية وحتى الإنسانية للكرد.))[١٩]من جهة أخرى، وقد ترأس الوفد التركي عصمت إينونو بمشاركة الحاخام اليهودي ناحوم حاخام استانبول، مع افتتاح الجلسة الأولى للمؤتمر لوحت « بريطانيا وفرنسا » إلى أنها مستعدة للوصول إلى حلول وسط في القضايا الخلافية. ورضخ الحلفاء للشرط التركي برفض ((مشاركة أي وفد كردي في المؤتمر، ومنع مناقشة القضية الكردية في كردستان تركيا بشكل خاص.))[٢٠].

١٨ - (لازاريف)، م. س، المسألة الكردية، ص ٤٣٤.

١٩ - (جعفر)، د. مجيد، كردستان تركيا. ص ٢٨٥.

٢٠ - (لازاريف)، م. س، المسألة الكردية، ص 472.

وكانت بريطانيا وفرنسا على استعداد للتنازل عن بعض امتيازاتهما في تركيا، خوفا من ارتماء كمال اتاتورك في أحضان الاتحاد السوفياتي، بذريعة أن ذلك يشكل خطرا على مصالحهما في المنطقة. لذلك وافقت على الشروط التركية، وبذلك تعززت مواقع تركيا في المنطقة وعلى الساحة الدولية، وتغيرت موازين القوى لصالح حكومة أتاتورك في أنقرة التي انفردت بالحكم في تركيا، حيث قامت بإلغاء السلطنة العثمانية وحكومة الباب العالي، ونقل العاصمة من إستانبول إلى أنقرة، وإلغاء الخلافة وإعلان النظام الجمهوري ١٩٢٣، مقابل الاعتراف بالجمهورية التركية.

وبناءً على التفاهم التركي مع الحلفاء لم تطرح القضية الكردية في لوزان، فقد تجاهلت القوى المتصارعة خاصة بريطانيا وفرنسا مصير الشعب الكردي، ووعودهم بإنشاء دولة كردية، وقد استُخدِمَ اسم الكرد وكردستان من قبل الجميع للابتزاز والمساومة، والانطلاق منه لتحقيق مصالحهم الخاصة.

في لوزان تم إلغاء معاهدة سيفر وتسوية أوضاع منطقة الأناضول، والقسم التركي من القارة الأوروبية، والاتفاق على كيفية تسديد الديون الأوروبية، وآليات المرور في المضائق التركية. بالإضافة إلى بعض الحقوق التي وردت في بعض مواد الاتفاقية التي يمكن تأويلها بأكثر من معنى، كـ:

المادة: ٣٨

تتعهد الحكومة التركية بضمان الحماية الكاملة والتامة للحياة والحرية لسكان تركيا من غير تمييز بين المولد أو الجنسية أو اللغة أو العرق أو الدين. يحق لجميع سكان تركيا أن يمارسوا بحرية، سواء في الأماكن

العامــة أو الخاصــة، أي عقيـدة أو ديـن أو معتقـد لا يتعـارض احترامهـا مـع النظـام العـام والأخـلاق الحميـدة.

المادة: ٣٩

يتمتـع المواطنـون الأتـراك الذيـن ينتمـون إلـى أقليـات غيـر مسـلمة بنفـس الحقـوق المدنيـة والسياسـية التـي يتـم يتمتـع بهـا المسـلمون. وجميـع سـكان تركيـا، دون تمييـز دينـي، هـم سواسـية أمـام القانـون. ولا تخـل الاختلافـات فـي الديـن أو العقيـدة أو الاعتـراف بحـق أي مواطـن تركـي فـي الأمـور المتعلقـة بالتمتـع بالحقـوق المدنيـة أو السياسـية، مثـل القبـول فـي الوظائـف العامـة والوظائـف والأوسـمة، أو ممارسـة المهـن لصناعـات.

ولا يجـوز فـرض قيـود علـى الاسـتخدام الحـر لأي مواطـن تركـي لأي لغـة فـي اللقـاءات الخاصـة أو التجـارة أو الديـن أو الصحافـة أو المطبوعـات مـن أي نـوع أو حتـى فـي الجلسـات العامـة. وعلـى الرغـم مـن وجـود اللغـة الرسـمية، يجـب توفيـر التسـهيلات الكافيـة للمواطنيـن الأتـراك الذيـن يتحدثـون بلغـات غيـر تركيـة، لاسـتخدام لغتهـم شـفويا أمـام المحاكـم.

المادة: ٤٢

وبالمثـل فـإن الحقـوق الممنوحـة بموجـب أحـكام هـذا القسـم بشـأن الأقليـات غيـر المسـلمة فـي تركيـا. سـيتم منحهـا بالمثـل للأقليـة المسـلمة فـي أراضيهـا[٢١].

وفـي ٢٤ تمـوز ١٩٢٣ تـم طـي صفحـة سـيفر، ولـم يـرد ذكـر للكـرد فـي بنـود المعاهـدة الجديـدة الـ ١٤٣ «معاهـدة لـوزان» التـي تـم التوقيـع عليهـا فـي المدينـة السويسـرية الهادئـة، التـي شـهدت تحطـم أمانـي الشـعب كخـزف مدينـة سـيفر

٢١ - ٤- (رفيق) عادل، النص الكامل لمعاهدة لوزان ١٩٢٣، ص ١٧ و ١٨.

النتيجة:

الدول الكبرى تبحث عن مصالحها، دون الالتفات إلى القيم الأخلاقية، أو مصائر الشعوب. ففي عالم السياسية، هناك المصالح، والقوة. وإن الدول التي تقتسم كردستان ومهما كانت خلافاتها، تضع تلك الخلافات جانبا وتتفق معاً لمواجهة القضية الكردية، وخير مثال على ذلك اللقاءات الثلاثية خلال حرب الخليج بين تركيا وإيران وسوريا التي أصبحت الآن رباعية بانضمام العراق إليها.

والنتيجة الأهم من خلال هذه الدراسة هي ضرورة قيام الحركة السياسية الكردية في كافة أجزاء كردستان والمهجر وبالتعاون مع النخبة الثقافية الكردية بإجراء تقييم دقيق لكافة التجارب الكردية والتوقف عند الإخفاقات الكردية واسبابها الموضوعية والذاتية، واستخلاص العبر منها.

××××

المصادر:

١- (أبو بكر)، د. أحمد عثمان، كردستان في عهد السلام. رابطة كاوا للثقافة الكردية، ط١،٢٠٠٢.

٢- (النعيمي)، د. أحمد نوري، العلاقات الروسية التركية، دراسة في الصراع والتعاون. زهران للنشر، عمان، ط١، ٢٠١١.

٣- (جعفر)، د. مجيد، كردستان تركيا. مطبعة أميرال، بيروت، ط١، ١٩٩٠.

٤- (شركوه)، د. بله ج. القضية الكردية (ماضي الكرد وحاضرهم). دار الكاتب. بيروت. ط١. ١٩٨٦.

٥- (رفيق) عادل، النص الكامل لمعاهدة لوزان ١٩٢٣، المعهد المصري

للدراسات، القاهرة، ط١، ٢٠٢٠.

٦- (لازاريف)، م. س، المسألة الكردية، ترجمة: عبدي حاجي، دار الفارابي ط٢، ٢٠١٣.

٧- (مظهر)، د. كمال أحمد، كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى. ترجمة: محمد ملا عبد الكريم. بلا.

٨- (مكدول)، ديفيد، تاريخ الأكراد الحديث، ترجمة: راج آل محمد، دار الفارابي – بيروت، ط١، ٢٠٠٤.

٩- (نيكيتين)، باسل. الكرد. ترجمة: صلاح برواري. بلا.

١٠- (هسرتيان)، م، أ. كردستان تركيا بين الحربين، ترجمة: سعد الدين ملا – بافي نازي، رابطة كاوا للثقافة الكردية، ط١،١٩٨٧.

استقلال كوردستان العثمانية بين سيفر ولوزان

د. آزاد أحمد علي

استقلال كوردستان العثمانية بين سيفر ولوزان[1]

١- تأثير كارثة الحرب العالمية الأولى على المجتمعات المحلية

كانت مجتمعات كوردستان في حالة اضطراب وعدم رضى، بل منتفضة في وجه السلطات العثمانية، وان كان بشكل جزئي. وذلك كاستمرارية للمسعي التاريخي في المطالبة بمزيد من التحرر والاستقلالية. وكانت النخب الكوردية السياسية والاجتماعية مهيأة للتفاعل مع أي متغير

١ كوردستان العثمانية. المقصود بها المناطق والامارات الكوردية التي خضعت للحكم العثماني. ثم تحولت رسمياً الى ايالة بين سنوات (1847 -1868). وكانت تضم الولايات التالية: (ولاية أرزروم. ولاية معمورة الألزيز. ولاية ديار بكر. ولاية بدليس. ولاية وان. ولاية الموصل. سنج دير زور)

وحافز خارجي لتعبر من جديد عن مطالبها السياسية، وتترجم رفضها للحكم التركي.

انسجاماً مع حالة الترقب، والاستعداد للمتغيرات تفاعل وتأثر مجتمع كوردستان بشكل عميق بأحداث الحرب العالمية الأولى، ويبدو أن المناطق التي كانت في السهول وقرب الطرق الرئيسية، كانت عرضة أكثر لآثار الحرب وتعرضت بعمق لمفاعليها.

وظلت مجتمعات سفوح الجزيرة الفراتية وكذلك المناطق الجبلية مركزاً للحراك المناهض للحكم العثماني، ومتطلعاً إلى استغلال فرصة الحرب للخلاص من الهيمنة التركية، ولتحقيق الاستقلال السياسي. لذلك برزت في العديد من مناطق كوردستان العثمانية حركات الاحتجاج والثورة ضد السلطة العثمانية. منذ سنوات مطلع القرن العشرين، وامتداد موضوعي لانتفاضات وحركات القرن التاسع عشر.

تحققت انعطافه تنظيمية جديدة مطلع القرن العشرين، وذلك عبر تأسيس العديد من الجمعيات والمنظمات القومية الكوردية. وبدأ حراكها السياسي والاعلامي يؤثر على العامة، ويترجم على شكل انتفاضات، واكبت الحرب العالمية الأولى، وقد يكون أحد أبرزها انتفاضة بوتان عام ١٩١٥ التي قامت في جوار القريب لسهول الجزيرة الفراتية: «وعلى الرغم من اقامة نظام عسكري – بوليسي دكتاتوري في الامبراطورية العثمانية، قامت حركة كوردية معادية للحكومة منذ النصف الأول من عام ١٩١٥. فقد جرت انتفاضات كوردية في بوتان وفي وادي موش، وديرسم وجنوب شرق تركيا.» (لازاريف وآخرون، ٢٠١٢، ص١٠٩)

لم تبق منطقة من كوردستان خارج تأثير الحرب العالمية الأولى، بل استجابت بسرعة لمفاعيلها. ذلك لأن روسيا القيصرية وبريطانيا وفرنسا

من جهة، وكل من ألمانيا والسلطنة العثمانية قد تحاربوا، واشتبكت قواتهم على أرض كوردستان. فقد تركزت أطماع الحرب وبؤرة الصراع وعملية توزيع غنائمها في الشرق الأوسط، وخاصة كانت تلك القوى قد مهدت لذلك: «استمر نفوذ ألمانيا في النمو سريعاً في السنوات الأخيرة من حكم عبد الحميد في عاصمة الامبراطورية، وفي الولايات الشرقية. وقد قام المبشرون والعلماء الألمان بدراسة واسعة للأراضي التركية والايرانية التي يسكنها الأكراد، وتوغلوا في المناطق النائية محاولين استمالة الزعماء الأكراد الى جانبهم، وأبدى الألمان، شأنهم في ذلك شأن الانكليز، اهتماماً كبيراً بتقوية القوات الحميدية وتأليب الأكراد ضد روسيا. وعلى هذا النحو أصبحت كوردستان والمناطق المجاورة لها في السنوات الأولى من القرن العشرين مسرحاً لتغلل سياسي كثيف قام به الإمبرياليون، وبصراع تنافسي شديد بينهم، حيث واجهت فيه روسيا كل من ألمانيا عدوتها المقبلة، وكذلك واجهت حليفتها الجديدة انكلترا، وحاولت كل دولة من الدول المتصارعة كسب تأييد الأكراد الذين انبروا للنضال التحرري.» (حسرتيان وجليل، ١٩٩٢، ص٥٤).

وكانت من أبرز نتائج هذا الصراع، وقوع الدمار المبكر، والمباشر الذي لحق بالكورد وبلادهم. ومن ضمنها القوات الكوردية الحميدية التابعة للسلطان عبد الحميد، إثر انقلاب الاتحاديين عليه سنة ١٩٠٨.

كما أن الأكراد الحضر كانوا قد دفعوا ضريبة التجنيد الإجباري في الجيش العثماني عدا عن الذين ماتوا في صفوف الفرسان الحميدية. إضافة إلى أولئك الذين تطوعوا للحرب ضد (الكفار) لأسباب دينية صرفه. ومن كل الزوايا كانت حصيلة خسارة المجتمعات الكوردية كبيرة، ودخلت الحرب بلادهم من عدة اتجاهات، لأن السلطنة العثمانية كانت الهدف الرئيسي

للحرب العالمية الأولى. وكان عدد الجنود الكورد كبيراً. لأن قوام الجيش الحادي عشر ومقره بألعزير، والجيش الثاني عشر ومقره بالموصل ومائة وخمسة وثلاثين بلوكاً سوارياً من الجيش الاحتياطي، أي أربع فرق ولواء، علاوة على بعض حاميات الحدود، وكذلك الجيش التاسع في أرضروم، والعاشر في سيواس، قوامها كلها كانت من الكورد. ويقدر محمد أمين زكي عدد القتلى من الأكراد في الحرب الاولى بثلاث مائة ألف شخص.[٢]

كل هذه العوامل إلى جانب تفشي الأمراض والفقر أدت إلى تراجع الكثافة السكانية للمجتمعات الكوردية عموماً، ومن ضمنها المناطق الكوردية في شمال الجزيرة الفراتية.

كانت الحرب العالمية الأولى حدثاً زلزالياً هزت كيان المجتمعات البشرية، حتى صاغت هذه الحرب النظام السياسي في العالم، وبدأت تحت تأثير نتائجها الكارثية مرحلة جديدة تماماً من تاريخ البشرية عموماً، وتاريخ الشرق الأوسط خصوصاً.

فقد حطمت الحرب العالمية الأولى الامبراطورية العثمانية، وفتتها كأبرز نتائجها، ومنجزاتها السياسية، وتحولت السلطنة بأرضها ومجتمعاتها الى غنيمة للدول المنتصرة وخاصة، بريطانيا وفرنسا، اليونان وايطاليا. ومن ضمن هذ النتائج والمتغيرات الكبرى، تحولت كوردستان العثمانية الى ساحة قتال، حيث اشتبكت فيها القوات البريطانية والروسية والعثمانية، وكانت ايضاً عمليات التقسيم من نصيب كوردستان العثمانية. اذ جزأت الى ثلاثة أقسام، وتوزعت على ثلاث دول مستحدثة ومنبثقة عن مخرجات الحرب العالمية نفسها. كما سنفصله في الصفحات.

٢ بين هذه الأرقام العلامة محمد أمين زكي في كتابه باللغة التركية (حرب عمو ميده عثمانلي جبهه لري وقايعي ـ استانبول عام ١٣٣٧هـ). علماً أنه كان ضابطاً في الجيش العثماني. وكتب من داخل الأحداث ـ نقلاً عن خلاصة تاريخ الكورد. ص٢٥٩.

بالتوازي مع هذا التقسيم القسري ذات العلاقة المسبقة مع اتفاقية سايكس – بيكو (١٩١٦)، تمزقت المجتمعات الكوردية والعربية والمسيحية على جانبي الحدود، وتشتت، سواء الحضرية منها أو البدوية. وكان قد سبق وأن دفعت المجتمعات الكوردية ضريبة باهظة نتيجة هذه الحرب الكبرى، على اعتبار أن الكورد كانوا أغلبية السكان من جهة، ولأن الحرب العالمية انطلقت من قلب المناطق الكوردية من جانب آخر: «يمكن القول ان الشعب الكوردي قد اشترك في أحداث الحرب العالمية الأولى منذ بداياتها لكن دون أن يكون الأمر في يديه... في الواقع فان وطنه لم يتحول الى ساحة رئيسية للقتال فحسب، بل وكما يقول دكتور لازاريف: فان أولى طلقات الحرب العالمية الأولى في الشرق الأدنى قد دوت في كردستان الايرانية، لا في البحر الأسود. ومنذ ذلك الحين وعلى مدى أربع سنوات كانت الجيوش البريطانية والعثمانية والروسية تصطدم بعضها ببعض في العديد من المناطق الكردية، وقد وقعت بينها حروب ضارية كانت نتائج بعضها تترك أثرها بوضوح على ميزان القوى بين المتحاربين في ميدان قتال الشرق الأوسط. وفي الوقت نفسه كانت تؤدي الى الدمار والتشرد في العديد من نواحي كردستان. فضلا عن أن أعدادا كبيرة من الشباب الكرد ذهبوا ضحية لهذه الحرب...» (مظهر، ص ١٥٨، ٢٠١٣)

٢- استمرار الجزيرة الفراتية ضمن كوردستان العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى

على الرغم من تفاقم آثار الحرب العالمية الأولى والاضطراب والتمزق الاجتماعي الذي سببه، فقد استمر ارتباط سهول الجزيرة الفراتية الاداري والاجتماعي بجبال كوردستان ومدنها، وظلت الجزيرة الفراتية بكامل مساحتها ضمن ايالة كوردستان اداريا وسياسياً، وضمن ولاية دياربكر

بشكل أساسي. وتم التعامل مع هذا الواقع السياسي والاجتماعي والقانوني، كمسلمة سياسية ومنظومة ادارية ومعطى تاريخي. واضافة الى الجوانب السياسية والادارية، وكما سبق ذكره فقد ادرجت سهول الجزيرة دوماً في النظام التعليمي الجغرافي العثماني ضمن كوردستان، وذلك امتداداً للمعارف التاريخية والجغرافية الأقدم، وخاصة العربية الاسلامية منها. حتى تم تثبيت هذه المعرفة العلمية في مراحل الحروب والصراعات نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وعلى سبيل المثال لا الحصر ورد ضمن أول انسيكلوبيديا تركية أواخر القرن التاسع عشر تفاصيل حدود كوردستان، حيث رسمت تفاصيل حدود كوردستان. لدرجة أن أعطى شمس الدين سامي[٣] وصفاً جغرافيا دقيقا للبلاد، أو الوطن المسمى بكوردستان. وأكد على أصالتها بإعادة جذورها إلى حوالي (٢٣٠٠) سنة، كما بين ان الشعب الكوردي آري ... ومن الزاوية الجغرافية والمورفولوجية شبه كوردستان بمثلث: «وطن كبير في غرب آسيا، والجزء الأعظم منه يقع ضمن الإمبراطورية العثمانية، والقسم الآخر مرتبط بإيران. السكان الذين يعيشون فيه يعرفون بالكورد، هذا الاسم ليس تصنيف سياسي ولا إداري. في وقت ما كان لدينا في الدولة العثمانية ولاية كوردستان، وحاليا توجد في إيران ايالة كوردستان. يتشكل كوردستان الموطن من هذين القسمين. على اعتبار ان الكورد مشتتون ويعيشون مع الشعوب المجاورة لذلك من الصعب رسم حدود كوردستان بدقة. لكن زيادة او نقصان من الممكن القول بأن: «كوردستان تمتد من ضفاف بحيرتي أورميا و وان وحتى ينابيع نهر الكرخ وديالا وباتجاه جريان نهر دجلة. ومن المنطقة التي تنبع منها نهري دجلة والفرات، وبذلك ضمن الإمبراطورية العثمانية تقع مدن

٣ شمس الدين سامي فراشي (١٨٥٠ – ١٩٠٤) – المجلد السادس من قاموس (كامل العالم)، في الصفحة رقم (٤٨٦) رسم حدود كوردستان.

عديدة في كوردستان، موصل، وان وبدليس، دياربكر، العزيز، ديرسم. ومن جهة جنوب الغرب تتضمن الجزيرة، ويحدها من الشمال الغربي الاناضول. أي بين خطي العرض ٣٤ – ٣٩، وخطي الطول ٤٧ – ٤٦ شرقاً وغرباً، حتى تشبه خارطة كوردستان المثلث.

(Akpinar ,2011 ,pp 62 ,Bozkurt)

وبصدد الانتشار السكاني للكورد، وصعوبة تحديد مناطقهم فقد أكد شمس الدين على وجود الكورد خارج هذه الحدود المشار اليها، فالكورد يسكنون الأناضول وحلب والشام، إضافة الى روسيا وقفقاسيا، وكذلك في كل ارجاء إيران وخراسان، كما توجد عشائر كوردية في أفغانستان وبلوجستان.

(Bozkurt, Akpinar ,2011,pp 63)

بمعنى أن جميع المصادر الادارية والعلمية التاريخية والمعجمية العثمانية عدت كامل الجزيرة الفراتية جزءاً من كوردستان، حتى آخر مرحلة من تفكك السلطنة، وولادة كيانات سياسية جديدة على أنقاضها.

إن موقع كوردستان العثمانية الاستراتيجي والرابط بين مناطق نفوذ القوى الكبرى المتصارعة، جعلتها مركزاً لتصادم القوات العسكرية. كما كانت هدفاً مسبقاً وسهلاً لسلخها عن الدولة العثمانية، وخاصة المناطق السهلية والهضاب التي تمتد من ساحل البحر المتوسط وحتى حدود إيران.

لقد سببت الحرب العالمية الأولى اضطراباً اجتماعياً وأحدثت تحولاً سياسياً عميقاً في مجمل مناطق التماس بين القوات المتحاربة. فقد عمت الفوضى هذه السهول كونها ساحات قتال سهلة وهامشية بالنسبة للجبهة الغربية في إستانبول وتراقيا، التي استمرت القوات العثمانية في خوض

ذيول الحرب ضد الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى، وذلك بهدف تحرير أراضيها بما فيه العاصمة إستانبول. ومن السهل ان يكتشف الدارس درجة اعتماد قادة تركيا على الكورد وكوردستان، وكيف كانت كوردستان جداراً خلفياً سانداً وداعماً لهم، وهذا يتضح، ويوثق في مراسلة لمصطفى كمال الى قادة الحركة العربية في دمشق سنة ١٩٢٠. والتي تفصح عن استقواء قادة تركيا بكردستان واحتمال فتح جبهة في الجزيرة عبر عنتاب، وكذلك تشجيعاً للتيار المتعاطف مع تركيا للتحالف ضد فرنسا: «أرسل غورو من بيروت ٢٥ كانون ثاني مضمون منشور يحوي دعوة مصطفى كمال للسوريين للحرب لأن الفرنسيين هم ميكروب الانسانية والحضارة الاسلامية وهم يعذبون المحمديين الأعزاء. لنفجر حرب الحقد والثأر، لنضرب العلم الفرنسي الوحيد، وكل المسلمين في الأناضول وكردستان والروملي معاً. وان متنورينا قد فعلوا ذلك من قبل. ولا يستطيع الفرنسيون أن يرسلوا مزيداً من القوات، ولن يحصلوا على أية مساعدة من الانكليز، الذين مزقت عصاباتنا قواتهم. وبكم سنهاجم في مارس / آذار خربوط، مرعش، عينتاب، ثم أضنا، وأخيراً سورية. اتحاد الاسلام من أجل الحرب المقدسة.» (سلطان، ١٩٨٧، ص/٢٦٥ /٢)[٤]

وكانت تجري نقاشات في المجلس (البرلمان) ترتبط بالمعضلات الإدارية للعديد من المناطق التابعة للسلطنة والتي خفت فيها قبضة حكمها، ولم يعد ممكناً السيطرة التركية على مجتمعاتها. ترافق ذلك مع تشكل فراغ ناتج عن الحرب، اذ لم تكن قد سيطرت فرنسا وبريطانيا بشكل كامل على الجزيرة الفراتية. لذلك تم مساءلة مسؤول تلك المنطقة نهاد باشا عن أسباب وحقيقة بعض التجاوزات في الجزيرة (وهنا المقصود ليست مدينة

٤ لمزيد من التفاصيل راجع:
D.F. Aff, Etr, Leavant, 22, No 6/ 184/ PP. 26- 25

جزيرة ابن عمر وانما كامل الجزيرة الفراتية) أي السهول الواقعة بين نهري دجلة والفرات.

يمكن أخذ صورة أوضح حول هذه الجوانب من نصوص الوثائق العثمانية لمجلس الامة (TBMM)، فتلك النماذج تبين بدقة ما كانت عليه الأوضاع ديمغرافياً وادارياً قبل إجراءات التتريك والهندسة الديمغرافية في سياق تشكل تركيا العاصرة (الجمهورية): «في ٢٧ آب ١٩٢١ في الاجتماع السري للمجلس التركي الكبير. تم التحقيق مع نهاد باشا قائد جبهة الجزيرة وافصحت تفاصيل التحقيق عن انه استخدم قواته في غايات غير سليمة وقام بأعمال غير قانونية... وقد طلب قائد المجلس حينئذ مصطفى كمال من نهاد باشا وأكد له أن سياسة كوردستان وادارتها ستظل بيد نهاد باشا قائد جبهة الجزيرة... وقد دافع نهاد باشا عن ادارته وتصرفاته أمام عدد من النواب الكورد وخاصة النائب عن منطقة سوريك لطفي بك الذي انتقد نهاد باشا بقسوة.»

[5](Bozkurt, Akpinar ,2011 ,pp 82)

وهذا ما يمكن اعادة تفسيره سياسياً وادارياً باستمرار الجزيرة بكامل سهولها شرق الفرات كجزء عضوي من مجتمعات كوردستان العثمانية الواسعة حتى ما بعد الحرب العالمية الأولى. واصرار القيادات الجديدة في تركيا بعدم التفريط بها، وكذلك مسؤولية النواب الكورد ودورهم في الدفاع عن حقوق الأفراد والجماعات في تلك المناطق.

ولمزيد من الايضاح فأن كل المنطقة التي تسمى ب (الجزيرة الفراتية) أو لاحقاً (الجزيرة السورية) التي كانت إدارياً ضمن كوردستان العثمانية

٥ لمزيد من التفاصيل يمكن الاطلاع على وثائق الجلسات السرية لمجلس النواب التركي TBMM، ص ٥٥٠ ـ ٥٧٤، ١٩٢٢

منذ أواسط القرن التاسع عشر ظلت كذلك، يتم التعامل معها قانونياً وإدارياً حتى ما بعد الحرب العالمية الأولى، ولم تكتسب أي صفة إدارية أو سياسية أخرى، وتمسكت السلطات العثمانية بها. علماً المحضر المتضمن على هذه التفاصيل والعسكرية والدلالات الجغرافية تحمل توقيع رئيس مجلس تركيا الكبير مصطفى كمال بتاريخ ٢٧ آب ١٩٢٢، قبل أن يطرأ انعطافه حادة على موقف كمال اتاتورك لاحقاً من المسألة الكوردية.

تفصح تلك السجالات أن جبهة الجزيرة التي كانت تضم معظم أراضي كوردستان، ما عدا ولاية أرضروم وقسم من ولايتي وان على حدود أرمينيا وسيواس باتجاه الغرب في الأناضول، لم يتم التخلي عنها بسهولة وكانت من صلب اهتمامات القيادات التركية والكوردية المتحالفة معها ضمن البرلمان، ولم تنسحب القوات العثمانية من السهول التابعة لكوردستان الا بعد ضغوطات كبيرة، وكنتيجة لمخرجات الاتفاقيات والمعاهدات الدولية، بما فيه انتشار القوات العسكرية البريطانية والفرنسية في كل من بلاد الشام، شرق البحر المتوسط والعراق.

٣- أقرت معاهدة سيفر بحق تقرير المصير لمجتمعات كوردستان

لقد مهدت اتفاقية سايكس – بيكو كمدخل لمعاهدة سيفر، للخطة الكولونيالية العملية التي بموجبها اتفقت سراً كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا على تقسيم وتوزيع كيان الدولة العثمانية فيما بينهم في أيار سنة ١٩١٦. وباتت النوايا الكولونيالية واضحة في أنها تريد تقسيم وتوزيع مناطق غرب آسيا فيما بينها، وبموجب خطوط الاتفاقية، التي لم تكن متوافقة مع أي شكل من أشكال التقسيمات الإدارية والسياسية السابقة، كما لم يعد ممكنا تشكيل أي كيان سياسي له علاقة متوازنة وصحيحة مع المجتمعات المحلية. فالخارطة التي توافق عليه الأطراف الثلاث، رقم (١)

المرفقة لاتسمح للمجتمعات المحلية عن تعبر عن نفسها سياسياً، ولم تكن لعملية التقسيم هذه أي مراعاة للروابط التي تربط المجتمعات المحلية في مناطق النفوذ، لا من الزاوية القومية ولا الدينية. وانما كانت عملياً نسف كامل للأشكال الكيانية السابقة وخاصة الإدارية منها. أي: نظام الولايات العثماني. وفي المحصلة كان مشرعاً ليس لبناء كيانات جديدة وانما لنسف الكيانات القائمة، وتفتيت وتشتيت المجتمعات. بناء على خبرة مارك سايكس الميدانية في هذا المجال. وفي المحصلة كانت اتفاقية سايكس – بيكو تجريبية تفتيتيه، مهدت لمخرجات الحرب العالمية الأولى.

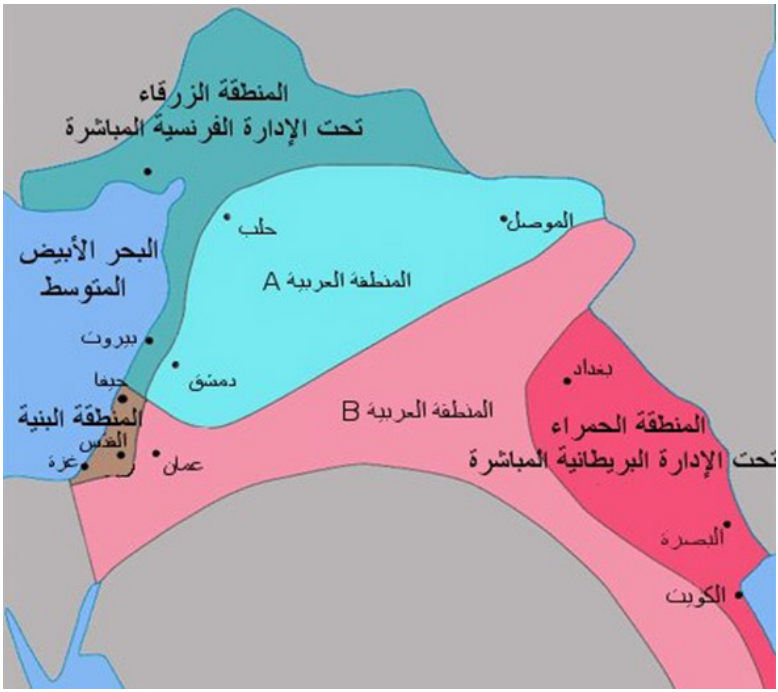

الخارطة رقم (١) تبين تقسيمات اتفاقية سايكس - بيكو

أثبتت الحرب العالمية الأولى وكشفت عن العلاقة العضوية بين صعود النظام الكولونيالي الأوربي من جهة، ورغبته في التوسع والاستحواذ على مناطق واسعة من العالم من جهة أخرى، وكذلك أفصحت عن متطلبات هذا الصعود وتوسع النظام الكولونيالي جغرافياً، حتى تجسدت هذه الأطماع في الحرب. بمعنى أن الحرب كانت تجسيداً وترجمة للرغبة، بل للحاجة الكولونيالية لتقسيم الشرق الأوسط، وبشكل عملي تركة الإمبراطورية العثمانية، ومن ضمنها كوردستان.

وبسبب هذا الاستهداف دخلت كوردستان مرحلة شديدة الحساسية والخطورة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، ففي الوقت الذي كانت مجتمعات كوردستان قد أنهكت تماماً بعد دفعها ضريبة معارك الاستقلال الطويلة الأمد، غمر طوفان الحرب العالمية أرض كوردستان وجوارها القريب: «لذلك كانت هذه الدول مشغولة خلال سنوات الحرب بوضع الخطط وتدبير المؤامرات، فرادى وجماعات، لتحقيق أغراضها التي سبق أن أدت الى اشتعال نيران الحرب. ومن الواضح أنه كان لكردستان، بوصفها جزءاً من السلطنة العثمانية، مكاناً بارزاً في تلك الخطط.» (مظهر، ٢٠١٣، ص٣١١)

ولقد بدأت المفاوضات السرية بين الدول الكولونيالية الكبرى وكذلك روسيا بدءاً بسنة ١٩١٥م لوضع خطط تقسيم السلطنة العثمانية وتوزيع ولاياتها بين هذه الدول. وكانت اتفاقية سايكس – بيكو الخطوة الدبلوماسية والسياسية الموثقة بهذا الخصوص. احتلت كوردستان موقع مهم في جدول التقسيم وتوزيع التركة العثمانية بين الدول الثلاث: بريطانيا، فرنسا، روسيا.[٦] لكن روسيا لم تكن منذ البدء راضية عن طريقة التوزيع، وكانت

٦ للتفاصيل راجع كتاب: كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، للدكتور كمال مظهر أحمد. ص٣١١ – ص٣١٥. المعتمد على الأرشيف الروسي.

حريصة على الاستحواذ على كل ولايات كوردستان العثمانية.

لقد شكلت اتفاقية سايكس –بيكو الخطوة الأولى في مسيرة التلاعب بمصير شعوب المنطقة: الأتراك، الأكراد، العرب والأرمن وأخيراً السريان – الآشوريين.

وعلى الرغم من بروز عامل جديد قبل نهاية الحرب، وهو انتصار ثورة أكتوبر الروسية البلشفية في أكتوبر سنة ١٩١٧، إلا أن تأثيرها وكشفها لبنود هذه الاتفاقيات لم تغير المسار العام الذي رسم للمنطقة. على الرغم من أن عملية الكشف عن بنود الاتفاقية أثارت ضجة عالمية عهدئذ. وقد أثرت كشف الاتفاقية الاستعمارية على النخب الفاعلة في المنطقة، الا أن إصرارها على التخلص من الحكم العثماني – التركي/ الاتحادي لم تساعد في قراءة مستقبل شعوب المنطقة بشكل صحيح: «يجب ان لا ننسى حقيقة أن السياسة القومية للعثمانيين جعلت من الكورد والأرمن والاشوريين بشكل خاص، بل وحتى قسم غير قليل من العرب، غير قادرين على تقييم الأبعاد الخطيرة للمخططات الاستعمارية كما ينبغي، بحيث يعيرونها ما تستحق من الاهتمام.» (مظهر، ٢٠١٣، ص٣٢٤)

لكن المشهد السياسي كان معقداً ومتشابكاً. وقوى الشعوب المحكومة بالسياسات الغربية محدودة سواء من الناحية النظرية، ام العملية. كما كانت تنتاب أوساط النخب الكوردية المنهكة من الحرب خلافات وتباينات عميقة، لدرجة أن توزعوا على ثلاثة تيارات رئيسية: «المؤيد للأتراك والمؤيد للحلفاء، وأخيراً، بين أكراد ديرسم، رغبة في الاستقلال التام عن كل تدخل خارجي. والمشكلة هي أن هذه التيارات لم تكن متمايزة. فالعديد من الأكراد، المرتبكين نتيجة الشكوك المحيطة بالمسألة، لم يرغبوا في الالتزام بشكل نهائي بواحد من هذه السبل. غير أن تطورات أيار ١٩١٩

حطمت الآمال الكردية في تحقيق الحكم الذاتي أو الاستقلال في الأناضول الشرقية.» (ماكدول، ٢٠٠٤، ص٢٠٨)

فتم احتلال تركيا، وتقاسمتها قوات الحلفاء المنتصرين، وتفاقم الصراع الكوردي – الأرمني، كما استنفر التيار القومي التركي، وتصدرت المشهد شخصيات قومية عدوانية السلوك، من بينهم الضابط مصطفى كمال. وفي المحصلة باتت النزعة الاستقلالية الكوردية توصف بالخطورة والخيانية من قبل حكام تركيا الجدد، اللذين باتوا ينتقلون إلى مواقع القرار في مسألتي السلام والحرب. كما عزف بعض القادة الأتراك على وتر (مخاوف الكورد من الخطر المسيحي)، وبذلك أنعشوا التيار الإسلامي الموالي لوحدة السلطنة العثمانية ولبقائها. ولكن الكارثة التي حلت بالقومية الكوردية بدأت بعد وصول مصطفى كمال الى سيواس، واتخاذه لشرق الأناضول مركزا للانطلاق لتحرير غربها وإستانبول العاصمة. حيث انكشف للقادة الأتراك قيمة الأناضول الشرقي وجيواستراتيجيتها القادرة على مقاومة القوات الغازية من جهة، والتأسيس لنواة تركيا الجديدة المحصنة انطلاقاً منها. لذلك أمر مصطفى كمال القادة المحليين لتنظيم المقاومة العسكرية. وفي اتجاه سياسي موازٍ تم استجماع القوى المؤيدة لوحدة تركيا، من الأتراك المحليين والتركمان والكورد الموالين لتركيا المركزية. وقد حسن مصطفى كمال علاقته كثيراً مع الزعامات الكوردية المحلية، ومارس سلوكاً مخادعاً بتعاطفه عهدئذ مع الكورد[٧]. وعقدت جمعية الدفاع عن حقوق شرقي الأناضول مؤتمرا في أرضروم لهذا الغرض:» الذي عقد فعلاً في الفترة من ٢٣ تموز الى ٧ آب. وقد أكد البلاغ الختامي للمؤتمر المؤلف من عشر نقاط على أن الولايات الشرقية الست جزء لايتجزأ من

٧ لمزيد من المعلومات عن تغلل مصطفى كمال في الوسط الكوردي وكيفية كسب أنصار. راجع كتاب شريف باشا، روهات ألاكوم، ترجمة: شكور مصطفى. دهوك – ٢٠٠٤، ص١٣٧

الأراضي العثمانية، وقد أناطت بالقوى الوطنية مسؤولية حماية وحدة أراضي الإمبراطورية والسلطنة والخلافة، ورفض أي امتيازات للمسيحيين من شأنها أن تؤدي الى تغيير موازين السيطرة السياسية والاجتماعية.» (ماكدول، ٢٠٠٤، ص٢١١).

وهكذا تم تشتيت الكورد بين هذه الجمعية التي يدعمها الأتراك وخاصة التيار القومي، وجمعية ترقي كوردستان المطالبة بالاستقلال. وهكذا اشتد الصراع الداخلي والخارجي بين الأطراف المتنافسة على هذا الجزء من كوردستان ومستقبلها السياسي، لدرجة ان روجت وانتشرت حينها اخبار عن نية فرنسا بالهجوم على سيواس، التي كانت عهدئذ ولاية كوردية مهمة، لم تتم فيها عمليات التغيير الديمغرافي.

وفي سياق هذا الصراع وافقت حكومة تركيا على قدوم بعثة تقصي البريطانية لتستطلع رأي السكان. وعلى ما يبدو، اندرج هذا القبول في سياق حركة مناورة لإضاعة الوقت، وإتاحة الفرصة للقيادة التركية لتحقيق انتصارات عسكرية وتحرير إستانبول. لكن جاء نشاط البعثة أيضاً كنتيجة لتنافس القوى الفاعلة وتمركزها المحلي في كوردستان وجوارها: (بريطانيا، روسيا، فرنسا، تركيا). فقد برزت على السطح مسألة استقلال كوردستان العثمانية، وباتت على طاولة المفاوضات، وشكلت ورقة مساومة قوية في وجه حكام تركيا الجدد، الذين هزموا من إستانبول وغرب الأناضول وتحصنوا في كوردستان واتخذوها قاعدة انطلاقهم لتحرير الأجزاء الغربية والجنوبية من تركيا. فإثر ميل بريطانيا نسبياً نحو العمل على تحقيق استقلال مناطق من كوردستان على الأقل. أوفدت الميجر نوئيل، الضابط المتحمس لعملية استقلال كوردستان على رأس بعثة الى مناطق كوردستان، التي كانت قد خرجت عملياً من تحت سيطرة العثمانيين. لقد رافق نويل

في هذه البعثة كل من جلادت وكاميران عالي بدرخان. وكان اتاتورك في سيواس وعلى علم بأهمية هذه الزيارة – البعثة: «علم مصطفى كمال في التاسع من أيلول بأن نوئيل والبدرخانيين كانوا في ملاطيا. وعلم أيضاً بأن فريد باشا قد أعطى أوامر إلى متصرف خربوط المجاورة بحشد بعض الفرسان الأكراد، حيث من المحتمل أن تكون كتائب قبلية قديمة، من أجل مباغتة مؤتمر سيواس وهو منعقد واعتقال مندوبيه. لقد تأكدت شكوك مصطفى كمال السيئة اتجاه نوئيل، لقد فهم بأن هدفهم الحقيقي: كان اثارة الأكراد وتحرضهم ضدنا والهجوم علينا، واعدين إياهم إقامة كردستان مستقلة. وقد أجبر نوئيل ورفاقه على الانسحاب بسرعة الى سوريا.» (ماكدول، ٢٠٠٤، ص٢١٤)

وهكذا خلط مصطفى كمال وتياره الأوراق، وخدع الكورد المتحالفين معه، ثم سار على طريقين متوازيين: العسكري، وحقق فيه الانتصارات، والدبلوماسي الذي ساوم فيها كل الأطراف للحفاظ على الحد الأدنى من مساحة تركيا العثمانية، والتي جعلت من مناطق شرق الأناضول وكوردستان قاعدة لها لحين ما تم عمليات استبدال السكان، وترحيل ما تبقى من الأرمن، تشتيت وتطويع الكورد: «كان واضحاً منذ ذلك الحين أن أولى القضايا التي كان يجب مواجهتها قد بدأت والتي كانت لتضع الكرد في مواجهة الجمهورية التركية. كان مصطفى كمال مدركاً للمشكلة المطروحة عندما أعلن أمام الجمعية الوطنية في أنقرة في ٢٣ نيسان ١٩٢٠ بأن الوطن لا يتشكل فقط من الأتراك والشركس والكرد أو اللاز، وانما يتألف بشكل أساسي من المسلمين. وبالنسبة للكرد، باستثناء بعض المثقفين، كانت تلك الفكرة من الصعب فهمها. لأنه بالنسبة لهم، وحتى الآن، هنالك رابطة شخصية تربط زعماء قبائلهم بالسلطان – الخليفة.»

(ماريسكوت، ٢٠٢٢، ص٢٤)

لقد تلاطمت الأمواج الدبلوماسية والعسكرية على نواة السلطنة العثمانية، وبالتالي اشتدت المعركة حول مصير الأناضول. كما كان مصير تركيا ومستقبلها، فضلاً عن موقعها الجديد في الشرق الأوسط موضوعاً للمفاوضات. وقد تلت الحرب العالمية مباشرة مفاوضات طويلة الأمد عرفت رسمياً بمفوضات السلام، وتمخضت عن توقيع معاهدة في الضاحية الباريسية المعروفة بسيفر. بل يمكن ترجيح القول بأن هذه المعاهدة لم تحقق السلام لشعوب المنطقة، بل مهدت وأسست لمزيد من المعضلات السياسية والاجتماعية في الشرق الأوسط، لأن المتفاوضين لم يتابعوا بصدق تطبيق البنود التي اتفقوا عليها. والتي كانت تأخذ بعين الاعتبار الحد الأدنى من حقوق الشعوب والمكونات الأثنية والدينية للمنطقة. ويمكن الترجيح بأن ما ظهر من بنود تفصح بشكل واضح عن حق الشعوب في تقرير مصيرها، كان تحت ضغط مبادئ الرئيس الأمريكي ويلسون. ولا يمكن القفز فوق حقيقة أن سياسات أمريكا ابان الحرب العالمية الأولى كانت غير متحمسة للسياسات الكولونيالية والانتداب، على الرغم من الاغراءات البريطانية لها في الاستحواذ على كامل الأناضول. إلا ان مبادئ ويلسون ضغطت على الرغبات والأطماع الكولونيالية المنفلتة لدول أوربا المنتصرة. وذلك لمواجهة وضبط هذه السياسات الأوربية وخاصة البريطانية بنزعتها التوسعية ومناوراتها، أعلن ويلسون عن مبادئه: «أعلن الرئيس ويلسون عن بنوده الأربعة عشر الذائعة الصيت أمام الكونغرس الأمريكي، اتبعها بأربعة بنود، ثم خمسة أخرى توضيحية... وما يهمنا هنا هو مضمون البندين الخامس والثاني عشر. ففي البند الخامس دعا الرئيس ولسون الى (حل حر وصريح ومنصف بشكل مطلق لجميع المنازعات

الخاصة بالمستعمرات، يستند الى التمسك الجدي بمبدأ يقضي أنه في حالة حل جميع القضايا المتعلقة بالسيادة، فإن مصالح سكان المستعمرات المعنية تتمتع بنفس وزن الطموحات المشروعة للحكومة التي تحدد حقوقها). أما البند الثاني عشر فقد خصص للدولة العثمانية ونص على ما يلي: يجب ضمان سيادة أكيدة للأجزاء التركية من السلطنة العثمانية الحالية، أما القوميات الأخرى التي هي الآن تحت الحكم التركي فيجب أن يضمن لها اطمئنان على الحياة لا شك فيه، وفرصة مطلقة مصونة لتطوير الاستقلال الذاتي، والدردنيل يجب فتحه بصورة دائمة وبضمانات دولية أمام البواخر جميع الشعوب وتجارتها.» (مظهر، ٢٠١٣، ص٣٢٦)

في المحصلة بدت البنود التي اتفقت عليها في سيفر، وكذلك الخارطة الناتجة عن سيفر، وكأنها قد قوضت أركان الدولة التركية وشتت في الوقت نفسه المجتمع التركي الذي لم يكن متواجداً ومتجمعاً فقط في المنطقة الصفراء من خارطة تقسيم الأناضول، أي في المناطق التي تحيط بأنقرة. دقق في الخارطة رقم (٢) المرفقة. علماً أن هذه الخارطة التي رسمت لاحقاً للتعبير عن بنود سيفر، صحيحة فقط بالنسبة للأناضول، وغير صحيحة بالنسبة للرقعة المخصصة للدولة الكوردية. حيث مثبت عليها حدود دولتي العراق وسوريا بعد رسمها واعتمادها بين سنوات (١٩٢٣ -١٩٣٩). في حين أن كيان دولتي سوريا والعراق لم يكن قد ترسخ، ولم يكن قد تم تثبيت حدوهما ابان معاهدة سيفر وحتى معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣. كما أن المناطق الكوردية المرشحة للاستقلال في سيفر كانت تضم كل ولاية الموصل وسنجق دير الزور شرق الفرات. وفقط أدرجنا هذه الخارطة للتعرف على مبدأ التقسيم قلب الأناضول، ولنواة الدولة العثمانية عهدئذ. وفي الخارطة رقم (٣) نجد أن حدود كوردستان

هـي الأقـرب إلـى اقتـراح سـيفر. كمـا سـنصادفها فـي الصفحـات القادمـة.

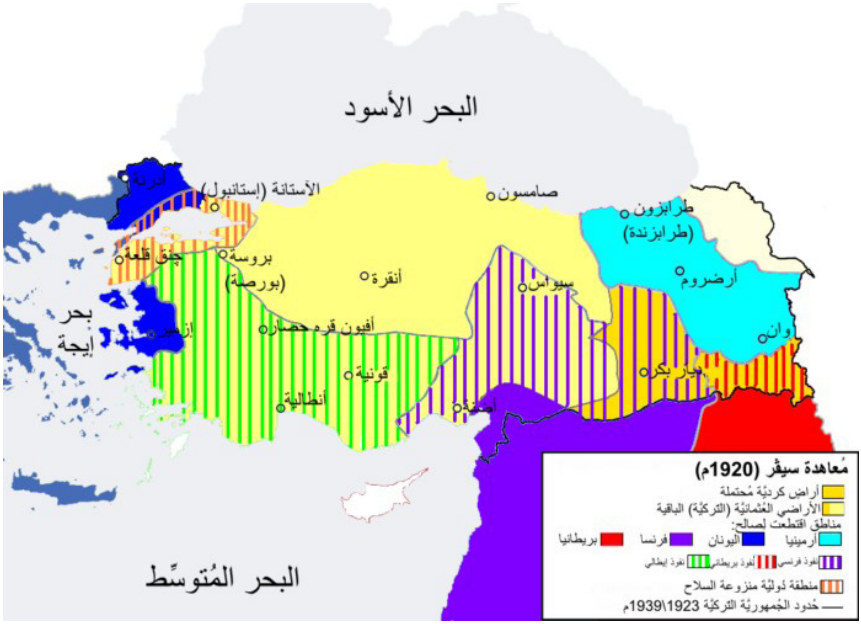

الخارطة رقم (٢) تبين مناطق نفوذ الدول المنتصرة في الحرب لمناطق الأناضول وكردستان

فـي المحصلـة الخارطـة التـي نظمـت ووزعـت مناطـق النفـوذ والسـيادة نتيجـة لمضمـون معاهـدة سـيفر، كانـت خارطـة حـرب، وصيغـة انتقـام مـن الحكومـة العثمانيـة. جسـدت وترجمـت انتصـار الحلفـاء، أكثـر ممـا هـي خارطـة ناتجـة عـن مفاوضـات متوازنـة تراعـي مصالـح كل الأطـراف والشـعوب. ولذلـك لـم تصمـد. اذ اسـتجمعت الفعاليـات السياسـية والعسـكرية التركيـة قواهـا لإسـقاطها، وهـذا مـا حـدث عملياً.

لقد جاءت صيغة التعامل مع معاهدة الصلح في باريس ضمن المسار الدبلوماسي الصبور للقيادة التركية الجديدة. وكانوا مضطرين للقبول بها مؤقتاً، فلم يقتنع بها القادة الأتراك يوماً، وتهربوا من تطبيق بنودها بأشكال عديدة، وعبر مناورات مختلفة. حيث كانت هزيمتهم في الحرب قد أجبرتهم على التوقيع عليها والقبول بها والانتظار. لقد كانت معاهدة سيفر شديدة الأهمية في محتواها السياسي والقانوني، خاصة للشعوب الخاضعة سابقاً للسلطنة العثمانية، إلا أنها أفرغت من محتواها، كما أثبتت الأيام. خاصة بعد انسحاب أمريكا من المشهد السياسي عهدئذ. واختفت مع عملية انسحابها قيم ومقياس الحريات، وحق تقرير المصير لشعوب المنطقة من جدول أعمال الدول المتفاوضة. وقد استمرت مفاوضات السلام في ظل غياب أمريكي في سيفر، داخل مبنى إحدى معامل الفخار في ضاحية العاصمة الفرنسية باريس عهدئذ[٨].

في سلسلة مترابطة، بعد مخطط سايكس – بيكو، وفي منعطف نهاية الحرب العالمية الأولى، إثر التوقيع على هدنة مودروس ١٩١٨، التي استسلمت السلطنة العثمانية بموجبها تماماً لقوات الحلفاء المنتصرة. شكلت معاهدة سيفر أحد أول الاتفاقيات التي حاولت تثبيت هذه الهدنة وترجمة نتائج الحرب العالمية الأولى لصالح الدول المنتصرة، خاصة فرنسا وبريطانيا واليونان، والتي سعت لتثبيت هذه المكاسب قانونياً. عن طريق إجراء عملية توثيق وتثبيت نهائي لهزيمة واستسلام السلطنة العثمانية. فقد أبرمت هذه الاتفاقية المهمة في ١٠ آب عام ١٩٢٠م بعد مفاوضات طويلة. كما يحق من زاوية أخرى إدراج هذه الاتفاقية أيضاً ضمن

٨ باتت سيفر حالياً ضمن مدينة باريس الكبرى. وقد احتفلنا بصيغة رمزية مع مجموعة من ممثلي المنظمات المدنية والأحزاب الكوردية والأرمنية بمئوية سيفر في نفس المبنى الذي وقع الاتفاق فيه يوم 10 /8/ 2020

ثمرات نضالات الشعوب الخاضعة للإمبراطورية العثمانية. لأنها جاءت حصيلة لمجمل النضال الجماهيري والنخبوي للشعوب العربية والكوردية والأرمنية، وغيرها. طوال القرن التاسع عشر، هذا النضال الموجه أساساً ضد السيطرة العثمانية ـ التركية.

فقد ثبتت المعاهدة النتائج السياسية للحرب العالمية الأولى، ومواقع القوات المنتصرة، وترجمت المعاهدة أيضاً الانعكاسات الجيوسياسية للحرب، وتقاسم النفوذ على كافة أقاليم الشرق الأوسط. حيث اتفق بموجبها الحلفاء المنتصرون مع حكومة استنبول المؤقتة «حكومة الدامداد فؤاد باشا» على مجموعة من البنود، يتم على ضوئها ترسيم حدود الدولة العثمانية من جديد، وتنظيم بنية ما تبقى من نواة «الإمبراطورية العثمانية». **ومن أهم تلك البنود والنصوص ذات العلاقة بمضمون وسياقات دراستنا هو ما يتعلق باقتراح الحلول المناسبة للمسائل القومية عموماً، والمسألة الكوردية على وجه الخصوص. ومآلآت جغرافية (إيالة كوردستان العثمانية). إن أهمية ما أفصحت عنها هذه المعاهدة العالمية عهدئذ، تكمن بشكل جوهري، وغير معتاد التوقف عنده، يكمن في أن كل مناطق شرق الفرات هي مناطق كانت ذات غالبية سكانية كوردية مطلقة، لذلك دخلت كلها ضمن خطة سيفر، كمناطق ستخضع جميعاً للاستفتاء العام على الاستقلال. وترجم هذا البند وانبثق من الحقيقة العلمية التاريخية التي تعتمد حقيقة أن جغرافية كوردستان كانت طوال سنوات وعهود مديدة، تعرف وتحدد غرباً بنهر الفرات.**

لقد أقرت المعاهدة بحقيقة جديدة صاغت وجه الشرق الأوسط السياسي والاداري، وتلخص في ضرورة انسحاب القوات العثمانية من كل المناطق التي لا يتكلم سكانها اللغة التركية، وبذلك وضعت المعاهدة الأسس القانونية

لحق تقرير المصير للشعوب غير الناطقة باللغة التركية، وتحقق ذلك للعرب وشعوب البلقان وللأرمن نسبياً، وبصيغة أقل للكورد. ان نصوص المعاهدة أقرت بشكل صريح توفير المناخ لترجمة مبدأ حق تقرير المصير السياسي للشعب الكوردي، كونه من الشعوب غير الناطقة باللغة التركية، وأقرت بحق سيادته السياسية على أرض كوردستان العثمانية، توازياً مع تأمين حقوق الأقليات داخل المناطق ذات الغالبية الكوردية. على أن تتم عملية الاستفتاء بإشراف دولي، متمثلا في حينه بعصبة الأمم. حيث جاءت في البنود ٦٢- ٦٣- ٦٤ من معاهدة سيفر: «تشكل لجنة من حكومة بريطانيا وفرنسا وايطاليا لتقدم خلال ثلاثة أشهر خطة للحكم الذاتي المحلي للمناطق التي تقطنها الغالبية الكردية شرق نهر الفرات. وسوف يضمن المشروع ضمانا تاماً لحماية الآشوريين والكلدان وغيرهما من الأقليات القومية والعرقية في هذه المناطق ـ مادة ـ ٦٢. (قارن مع النص الأصلي باللغة الإنكليزية)[٩]

توافق الحكومة التركية بموجب هذه المعاهدة على قبول وتنفيذ القرارات المتخذة في المادة (٦٢) في غضون ثلاثة أشهر من إبلاغ القرارات للحكومة المذكورة». المادة ـ ٦٣. وقد ورد في المادة ـ ٦٤ ـ من المعاهدة: «وإذا حدث، خلال السنة الأولى من تطبيق هذه الاتفاقية أن تقدم الشعب الكردي القاطن في المناطق التي حددتها المادة (٦٢) إلى مجلس عصبة الأمم قائلين: إن غالبية سكان هذه المناطق ينشدون الاستقلال عن تركيا، وفي حال اعتراف عصبة الأمم إن هؤلاء السكان أكفاء للعيش حياة مستقلة وتوصيتها بمنح الاستقلال فان تركيا تتعهد بقبول هذه التوصية وتتخلى عن كل حق في هذه المناطق. وسوف تكون الإجراءات التفصيلية لتخلي تركيا عن هذه الحقوق موضوعاً لاتفاقية منفصلة تعقد بين كبار الحلفاء وتركيا.

٩ لمزيد من الدقة يمكن الرجوع الى النص الأصلي للمقارنة باللغة الإنكليزية أو الفرنسية.

وفي حال حصول التخلي، فان الحلفاء لن يثيروا أي اعتراض ضد قيام كرد ولاية الموصل ـ كردستان العراق حاليا ـ بالانضمام الاختياري إلى هذه الدولة الكردية.» (شانيولو وسياح، ٢٠٠٦، ص٤٥)

ظلت القوى المسيطرة على الحكم في تركيا تراهن على بقاء كوردستان داخل حدودها، حتى بعد انعقاد مؤتمر الصلح، وادراج الحقوق الكوردية فيها. بل عدت كوردستان جزءا من تكوين الدولة التركية، ومجتمعاتها سندا لها في طرد القوات الأوربية، وخاصة مصطفى كمال الذي أفصح عن ذلك في مراسلة إلى قيادات حزب الفتاة في دمشق الذين تواصلوا معه للتعاون في مقاومة الفرنسيين أوائل سنة ١٩٢٠، كتحريض وتشجيع للنخب العثمانية في سوريا على محاربة فرنسا: «لنفجر حرب الحقد والثأر، لنضرب العلم الفرنسي الوحيد، وكل المسلمين في الأناضول وكردستان والروملي معاً. وان متنورينا قد فعلوا ذلك من قبل. ولا يستطيع الفرنسيون أن يرسلوا مزيداً من القوات، ولن يحصلوا على أية مساعدة من الانكليز، الذين مزقت عصاباتنا قواتهم. وبكم سنهاجم في مارس/ آذار خربوط، مرعش، عينتاب، ثم أضنا، وأخيراً سورية. اتحاد الاسلام من أجل الحرب المقدسة.»

(,No184,p 25 Leavant)[10]

على الرغم من التصادم الذي حصل بين أوساط كوردية وأرمنية، واستثمار التنافس المحلي وتضارب المصالح القومية بين الشعبين الجارين من قبل السلطة العثمانية. الا ان أرضية التفاهم والتعاون كانت مازالت متوفرة. وعلى ما يبدو شجع كل من البريطانيين وأمريكا هذا التعاون أثناء مؤتمر الصلح وخاصة اواخر سنة ١٩١٩، لأن ممثلي بريطانيا

١٠ انظر حاشية صفحة 2/265، تاريخ سوريا. د. علي سلطان. مترجم عن المصدر الأصلي

26- 25 .PP /6/ 184 No ,22 ,D.F.Aff, Etr, Leavant

كانوا مازالوا يرجحون أحقية الكورد في الاستقلال، ومهدوا بالتعاون مع الفرنسيين لاتفاق كوردي – أرمني عشية مؤتمر الصلح (سيفر). وعلى الأرجح كان الاتفاق الأرمني الكوردي منسجماً مع السياسات البريطانية الهادفة لدعم كيان كردي مستقل عهدئذ: «كان الكرد في تلك الأثناء يتلقون دعماً من بريطانيا التي كانت ترغب في إنشاء كردستان كدولة فاصلة بين العراق العربي والأراضي التي كان يقطنها الأتراك.» (ماريسكوت، ٢٠٢٢، ص٢٢)

٤ - التعاون بين الوفدين الكوردي والارمني في سيفر

سببت اشكالية العلاقة بيم الكورد والأرمن في مرحلة أواخر السلطنة العثمانية الكثير من الصدامات الجانبية، وكانت لبعضها نتائج كارثية على الطرفين المتصارعين برعاية عثمانية وروسية مباشرة. إلا أن الحرب العالمية الأولى وآفاق تحرر الشعوب المنضوية تحت الحكم العثماني قد سهلت التقارب بين الطرفين، بل انتقلوا الى مرحلة التفاهم، خاصة في سياق مفاوضات مؤتمر الصلح في سيفر.

ويبدو أن رغبة بريطانيا في استقلال كوردستان، والتأسيس لمشروعها الكولونيالي الخاص قد ساهم في هذا التقارب، كما سبق ذكره، حتى: «جعل من الممكن التوصل إلى تسوية مرغوبة بين الأكراد والأرمن، رغم القتال الكردي – الأرمني على الأرض. وهكذا بات مصير كردستان من الناحية الاستراتيجية أكثر أهمية لبريطانيا في الوقت الذي باتت فيه احتمالات تجسيدها أقل. في باريس أقنع الموظفون البريطانيون الممثل الأرمني، بوغوص نوبار، على ضرورة إصدار بيان كردي – أرمني بالتضامن ضد عودة الحكم التركي. ونظراً لاعتقاده أن القضية الأرمنية في خطر، سارع نوبار في التفاوض بشأن التوصل الى اتفاقية مع شريف

باشا. وفي ٢٠ تشرين الثاني[١١] أصدرا بياناً جاء فيه: اننا وبالاتفاق التام معاً نناشد مؤتمر السلام منحنا السلطة الشرعية، وفق مبادئ القوميات لكل من أرمينيا المتحدة والمستقلة وكردستان المستقلة، وبمساعدة إحدى الدول الكبرى...» (ماكدول، ٢٠٠٤، ٢١٨).

بل ارتقت العلاقة بين الطرفين وشكلت منعطفاً سياسياً وفتحت صفحة جديدة من التعاون استمر بعد ذلك لسنوات طويلة: «أبدى الأكراد نشاطاً محدوداً في أيام مؤتمر الصلح بباريس انعكس بشكل خاص في أعمال وفدهم الصغير برئاسة الديبلوماسي والعسكري العثماني السابق شريف باشا، الذي قدم الى المؤتمرين مذكرتين حول حقوق الأكراد. وأجرى اتصالات مع أعضاء عدد من الوفود. ودخل في مفاوضات تفصيلية مع رئيس الوفد الأرمني بوغوص نوبار باشا وممثل جمهورية أرمينيا أوهانجيان أسفرت عن التوصل في كانون أول ١٩١٩ الى اتفاق مشترك حول قضايا كثيرة تهم الجانبين. مما جلب اهتمام أوساط سياسية في الداخل والخارج.» (مظهر، ٢٠١٣، ص٣٣٥)

حيث اتفق كل من بوغوص باشا رئيس الوفد الأرمني والدبلوماسي الكوردي شريف باشا رئيس الوفد الكوردي، مما انعكس بشكل ايجابي على الطرفين، وخاصة لتثبيت مبدأ حق تقرير المصير والاستقلال لكل من الأرمن والكورد. وأعطت من الناحية الدبلوماسية والسياسية قيمة مضافة للكورد والأرمن، وترجمت حقيقة علاقات حسن الجوار بينهما، مما شجعت بريطانيا بشكل أوضح على دعم حقوق الطرفين. وكان للاتفاق صدى إيجابي في الاعلام، فقد: «نشرت اثنان من صحف إستانبول (بيام) في ٢٤ شباط و(تان) في ١٠ آذار ١٩٢٠ تصف الاتفاق الذي أولاه المسؤولون

١١ ينبغي أن يكون البيان قد وقع في سنة 1919 م. وبحسب البروفيسور أحمد مظهر كان الاتفاق في كانون أول 1919

الإنكليز كذلك اهتماماً خاصاً. حتى أن اللورد كريزون أصدر تعليمات خاصة الى المندوب السامي البريطاني في اسطانبول الأدميرال دي روبيك تقضي بإبداء كل تشجيع ممكن للاتجاه الجديد. واعتبرت أوساط مختلفة الاتفاق أمرا غير متوقع البتة. وقدم الجانبان بعد ذلك مذكرة مشتركة حول مصير الشعبين الى المؤتمر.» (مظهر، ٢٠١٣، ص٣٣٦)

وعلى الرغم من الدور البريطاني في هذه النقلة الدبلوماسية، ألا ان حقيقة تأثير مبادئ ولسون، وتشجيع ممثلي أمريكا الطرفين للتقارب، كان أيضاً اساسياً. بل يمكن ترجيح الرأي على أن محرك معاهدة سيفر من حيث مضامينها التحررية كانت مبادئ ولسون، تلك المبادئ التي أنعشت النخب الكوردية وأعطت لنضالاتها مزيداً القوة والروح: «بموجب مبادئ ولسون التي كانت الأوساط الكردية تطلق عليها اسم (منهج الحياة للكورد) كان الشعب الكردي سيقرر مصيره مع سائر القوميات المنضوية تحت لواء الإمبراطورية العثمانية وداخل حدودها إذا ارادت ذلك» (آلاكوم، ٢٠٠٤، ص١١٣)

بصرف النظر عن بعض التفاصيل التي لم تحقق طموحات النخب السياسية في الجانبين. إلا أن مخرجات سيفر كان منعطفاً سياسياً ودبلوماسياً، وإن لم تتقدم بخطوات عملية نحو التنفيذ، لكنها ظلت قابلة أن تترجم على الأرض في عملية رسم الحدود: «كانت تتقاطع المطالب الإقليمية الكردية والأرمنية، كان يتضح أن التفاوض بين الأكراد والأرمن ضروري. وفي الأخير تحقق وتم الوصول الى اتفاق في باريس، في كانون أول / ديسمبر ١٩١٩، وقدم الأكراد حينذاك مذكرة ثانية، في آذار / مارس ١٩٢٠، وكانت مطالبهم فيها أكثر تواضعا، فكانوا يطالبون حينذاك بإقامة دولة كردية ذات حكم ذاتي تضم ولايات دياربكر وخربوت وبدليس والموصل، اضافة الى

سنجق أورفا مع منفذ على خليج إسكندرون. ويؤكد بهذا الصدد الباحثان شانيولو وسياح بأن معاهدة سيفر خلقت وهماً لدى ممثلي الأكراد بأن مطالبهم قد أخذت في الاعتبار لأنها قدمت حكما ذاتياً: «للمناطق التي يسيطر فيها العنصر الكوردي، والواقعة شرق الفرات، والى جنوب الحدود مع أرمينيا والى شمالي الحدود مع سوريا وتركيا والعراق، بحسب المادة ٦٢ من المعاهدة. وتنص المادتان ٦٣ و٦٤ الى أبعد من منح الحكم الذاتي، لأنها تنصان على أنه إذا أرادت أكثرية سكان هذه المناطق على بلوغ الاستقلال وإذا اعتبر مجلس عصبة الأمم أنه قادر على الاضطلاع ذلك، فان تركية (المرغمة على توقيع المعاهدة) تقبل التوافق مع هذه التوصية، وفي هذه الفرضية يعترف الحلفاء بالدولة الكردية المستقلة.» (٢٠٠٦، ص٦٦)

كما رسم الباحثان المذكوران الحدود التقريبية للمنطقة الكوردية المرشحة للاستقلال بموجب معاهدة سيفر في الخارطة رقم (٣) التالية.

ولايات الإمبراطورية العثمانية في عام 1914 والمطالب الكردية
في مؤتمر السلام في شباط/فبراير 1919

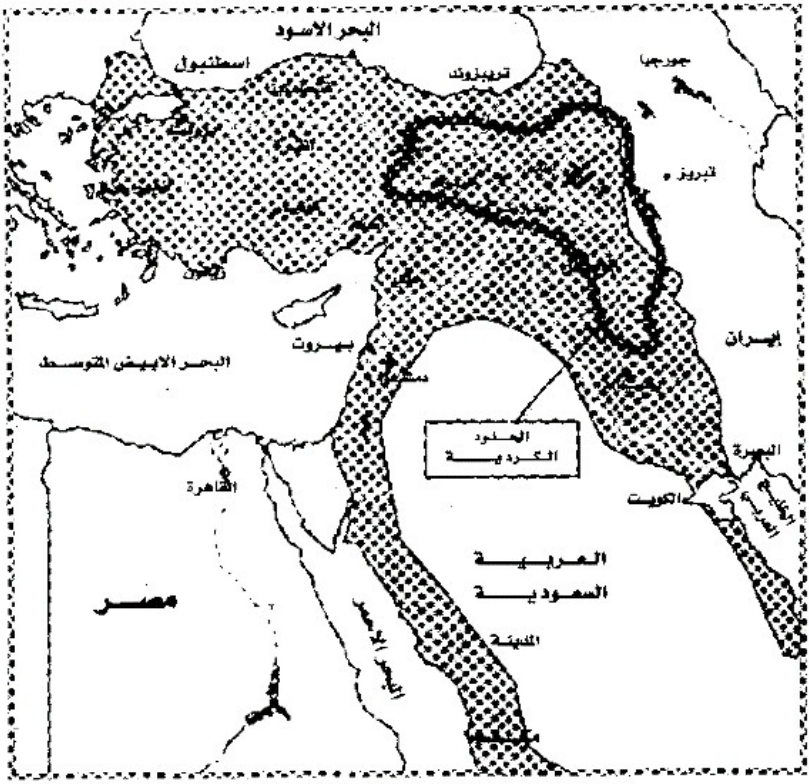

الخارطة رقم (٣) تبين الحدود التقريبية للدولة الكوردية المقترحة شرق نهر الفرات، بالخط الغامق. حسب معاهدة سيفر - عن تشاينولو وسياح

لم تطبق بنود هذه المعاهدة، التي كانت تتضمن أيضا انشاء دولة أرمنية ووصاية أوربية على إستانبول ومضيق البوسفور، وبقي مضمونها حبراً على ورق. ومع أن معاهدة سيفر كانت تجسيداً وتوثيقا

لحلم الاستقلال الكوردي، إلا ان استقلال المناطق الكوردية التي كانت تابعة للسلطنة العثمانية لم يتحقق منذ ذلك التاريخ، بل تفتت وتوزعت في تبعيتها لثلاث أو بصيغة دقيقة على خمس دول وليدة في المنطقة، هي (آذربيجان، أرمينيا، سوريا، العراق، واحتفظت الجمهورية التركية بالقسم الأكبر). تراجع الحلفاء المنتصرون، ولم يصروا على تنفيذ بنود هذه المعاهدة، وخاصة بريطانيا التي ترددت بشكل واضح عن حماسها السابق، واصرارها على استقلال كوردستان. بل على العكس نفذت بعد مرحلة سيفر سياسات تعاكس، وتناقض تماما مشروع الاستقلال الكوردي. فضلاً عن ان تفاهمات فرنسا مع حكام تركيا الجدد قد مهدت لتزايد من اعتراضها على تشكيل الدولة الكوردية المستقلة بناء على مخرجات سيفر، على اعتبار أنها لم تكن مقتنعة بمشروع الاستقلال الكوردي أصلا في تلك المرحلة من سياساتها الكولونيالية، لأن نواة منطقة نفوذها المتفق عليها، كانت كوردستان، وكان عينها في الوقت نفسه على نفط الموصل وكركوك، وهما أيضاً كانا من مناطق كوردستان العثمانية عهدئذ.

وكنتيجة للتسويات ومصالح الدول الكبرى من جهة، تقدم وانتصارات القوات التركية من جهة أخرى، تم طي معاهدة سيفر عملياً: «وكما رأينا، سرعان ما تحطمت بنود هذه المعاهدة بعلاقات القوى على الأرض حيث استطاعت جيوش مصطفى كمال فرض نفسها بسرعة. وكرست معاهدة لوزان الموقعة في تموز / يوليو ١٩٢٣ هذا الانتصار التركي، وبالتالي اختفاء أي امكانية لحكم ذاتي، بالأحرى أي استقلال للأكراد.» (شانيولو و سياح، ٢٠٠٦، ص٦٦)

من الواضح أن القوة الكوردية الضاغطة كانت ضعيفة بالمقارنة مع التوازنات بين الدول المتصارعة. لذلك لم تتمخض عن قرارات وبنود هذه

المعاهدة التاريخية المهمة دولة كوردستان المرتقبة أو سلطة محلية تحت بند (الحكم الذاتي)، خلافاً لما كان متوقعاً بعد نضال طويل من قبل المجتمعات الكوردستانية، وتوافقاً مع الظروف الدولية والإقليمية التي كانت قد هيأت البيئة العسكرية وتالياً وفرت الأساس القانوني للاستقلال. على الرغم من أن الحقوق الكوردية السيادية قد أدرجت تحت بند الحكم الذاتي، لكن كل المعطيات، والمؤشرات كانت توحي بأن البيئة ممهدة للاستقلال السياسي الكوردي. حيث كانت نواة الإمبراطورية العثمانية، الأناضول قد تفتت كأحد أهم نتائج الحرب، ولم تعد هنالك دولة مركزية تركية: «كرست معاهدة سيفر في ١٠ آب ١٩٢٠ التي أكرهت الحكومة العثمانية على توقيعها، تجزئة الإمبراطورية، بل والأخطر من ذلك، تجزئة الأناضول: منح جزء من تراسا الغربية لليونان، ظلت سميرنا[١٢] على الأقل لفترة خمسة أعوام، تحت السيادة النظرية للإمبراطورية، ولكن كان من الواضح بأنها ستلحق باليونان. ووجدت فرنسا نفسها وقد حصلت على العديد من الولايات الجنوبية. وفرضت سيطرة دولية على المضائق، وأخيراً كانت المعاهدة تنص على إقامة دولة أرمنية ومنطقة كردية ذات حكم ذاتي، من الممكن أن تفضي إلى الاستقلال.» (بوزرسلان، ٢٠١٠، ص٣٨)

وبعد مرور هذه السنوات، تكرر سؤال الاستقلال الكوردي، وما زال يتكرر ويتبادر إلى أذهان المتابعين لأحداث تلك المرحلة صياغة جديدة لهذا التساؤل: مادام الحلفاء كانوا منتصرين ويحتلون معظم الشرق الأوسط والأناضول وكوردستان وقد وقعوا على هذه المعاهدة التي جاءت تحت ضغط وإلحاح القوى والمجتمعات الكوردية المطالبة بالاستقلال، وكترجمة لوعود بريطانيا المتكررة للكورد، فلماذا تراجع الحلفاء واختفت دولة

١٢ مدينة أزمير الحالية

كوردستان في مرحلة عصيبة من تاريخ المنطقة؟! خاصة في الأعوام (١٩١٨ – ١٩٢٣) التي اختفت إبانها آخر إمبراطورية متعددة القوميات في المشرق، وعلى أنقاض تفتتها لم يكن يتطلب إعلان الدول المنبثقة من شعوبها غير التركية، سوى حفلة كوكتيل تجمع سفراء وقناصل وبعض جنرالات الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى. وكان من الممكن أن يفتتح الحفل في باريس الدبلوماسي شريف باشا يفرقع فيها زجاجة شامبانيا[١٣]...

كانت عهدئذ المناخات مهيأة، والدولة الكوردية كانت فقط تحتاج إلى اجتماع بروتوكولي يعلن فيها ولادة دولة كوردستان، بصرف النظر عن مساحتها وحدودها. لأن عدد الكورد وتوزعهم داخل الامبراطورية العثمانية كان كافيا لإعلان دولة بمقاييس تلك المرحلة. إذ كان من الممكن أن يتم تسمية رئيس الدولة وترسيم الخطوط العامة لحدوها، وبعدها كانت الدولة تقوم على قدميها الداميتين. كما حدث لغيرها من الدول الناشئة والبسيطة التركيب عهدئذ. فهكذا تم تشكيل معظم الدول التي ورثت الإمبراطورية ـ الخلافة العثمانية. علما أن بريطانيا قد سعت عملية في مرحلة حماسها عن البحث عن رئيس دولة كوردستان المرتقبة، والذي كان شريف باشا أنسبهم: «عند إلقاء نظرة على الوثائق البريطانية، نجد أن شريف باشا اقترح ليس ممثلاً عن جميع الكورد فحسب، بل أنه محمور له تأثيره بين الكرد البابان المفضلين عادة من قبل البغداديين. ومن شأن هذه الحالة أن تكون حصيلة توجه الإنجليز للبحث عن قائد آخر من بين الكرد للحد من شوكة حركة الشيخ محمود الحفيد التي كانت مصدر تهديد للوجود

١٣ كان يؤخذ على رائد الدبلوماسية الكوردية شريف باشا خندان، أنه مولع بالشامبانيا. لدرجة أن خصومه من الكورد وأعدائه من الترك، أطلقوا عليه مفرقع الشمبانيا. "»لقد كان الباشا مغرماً بالشامبانيا،» (آلاكوم، ٢٠٠٤، ص١٠٨)

البريطاني في هذه المنطقة من كردستان في غضون تلك السنوات. فإن الإنكليز الذين كانوا يبحثون عن قائد بديل، ثقة، سواء بين كرد تركيا خصوصاً أو بين الكرد عموماً اضطروا آخر الأمر إلى أن يخاطبوا مختلف الشخصيات الكردية. ويأتي في مقدمة هؤلاء سيد عبد القادر وأمين عالي بدرخان ومحمود باشا من عشيرة الملي وشريف باشا...وطمعاً في تذليل هذه الصعوبات، فإن من يبذل أكبر جهد في هذا السبيل سيكون شريف باشا» (آلاكوم، ٢٠٠٤، ص١٢٦)

يبدو أن مجموعة من العوامل قد تشابكت وتضافرت جملة من المسببات لوقف وتأجيل مشروع استقلال كوردستان، فروايات الدول الحليفة أحالت بطريقة أو أخرى عدم بروز دولة كوردستان إلى عوامل ذاتية خاصة بالكورد، مثل غياب القيادة الموحدة، البنية القبلية، عدم اتفاق الكورد جميعا حول مشروع الاستقلال، وهكذا. لكن تبدو هذه الحجج ضعيفة، بعد مقارنتها مع عدد من الدول التي تشكلت في تلك المرحلة، وما تلتها. إذ لا يخفى على أحد أن العديد من الدول ظهرت في المنطقة والعالم وكانت بنيتها قبلية ومازالت، كما أن زعاماتها أوجدت بمساعي دول الحلفاء أنفسهم، وفي الوقت نفسه نجد أن عددا آخر من الدول التي صنعتها الكولونيالية الأوروبية على أسس قومية ـ أثنية، ورسمت حدودها، مازالت حتى وقتنا المعاصر تفتقر الى اشتراطات بناء الدولة النموذجية.

من الأهمية بهذا الصدد أن نذكر بأن الدول المنتصرة في الحرب أبرمت مجموعة من الصفقات الثنائية والجماعية لتوزيع المستعمرات واقتسام غنائم الحرب العالمية الأولى، وخاصة تركة الرجل المريض «الإمبراطورية العثمانية» وكانت حاصل قسمة وحساب هذه الصفقات إبقاء كوردستان مجزأة، غير مستقلة. إذ كان المشهد عصرئذ على الشكل

الآتي: أمريكا كانت تحبذ إنشاء دولة أرمنية واسعة على حساب المناطق الكوردية الشمالية كترجمة تطبيقية لمبادئ ولسون، لكنها انسحبت فجأة من فعاليات تقسيم المنطقة. ويبدو أنها لم تحبذ الانخراط في النظام الكولونيالي، أما روسيا فقد كانت تميل لمد نفوذها إلى داخل كوردستان حتى منطقة جزيرة بوتان وبارزان وصولا الى راوندوز على الحدود مع إيران، وظلت فرنسا ضد استقلال كوردستان وكانت تهدف إلى ضم أكبر جزء من كوردستان إلى مستعمرتها الواعدة في سوريا، وتوسيعها لضم كل من منطقة بوتان، زاخو، وحتى أغلب مناطق ولاية الموصل ومنطقة سنجار بشكل خاص. في حين ظلت بريطانيا مترددة ومتوترة وحسمت رأيها بضم ولاية الموصل الى مستعمرتها (العراق). وحسم اكتشاف النفط تجارياً الأمر لغير صالح المجتمعات الكوردية والآشورية. «الجدير بالذكر أن روسيا وقفت في البداية، بقوة، ضد إعطاء أي جزء من المناطق الكردية لفرنسا، فهي كانت تريد كل أرمينيا وكردستان العثمانيتين لنفسها دون منازع، إلا انها وافقت أخيراً وبعد أخذ ورد طويلين ومساومات وارضاءات كثيرة على القبول بإدخال أصقاع كردية واسعة ضمن النفوذ الفرنسي. أما بريطانيا فكانت تتطلع منذ زمن بعيد الى ولاية الموصل وتعمل في سبيل توطيد مواقع أقدامها فيها بشتى الأساليب، وذلك ضمن خطتها الرامية الى السيطرة على جميع منابع حقول النفط في الشرق الأوسط وكذلك على المنافذ الضرورية لنقل ذلك النفط عبرها. كما كانت تفكر بالدافع نفسه في الاستحواذ على جزء من كردستان الإيرانية أيضاً نظراً لأهميتها من هذه الناحية» (مظهر، ٢٠١٣، ص٣١٦)

بصرف النظر عن درجات تقييم المعاهدة فقد شكلت سيفر الغطاء القانوني للسير نحو استقلال كوردستان، ومرجعية قانونية للسيادة الذاتية

للمجتمعات الكوردية على مناطقها، بصرف النظر عن مساحتها وحدودها. لأن عدد من الساسة والدارسين الكورد قد اعترضوا على مساحة كوردستان بحسب سيفر، وبالتالي لا يقرون بالحدود التي رسمتها معاهدة سيفر لكوردستان. كونها قد حصرت بالمناطق التي تقع شرق نهر الفرات، وهذه الحدود كانت مطلباً لتركيا، التي كانت تهدف توسيع كيانها السياسي شرقاً، لضم مناطق واسعة من شرق الأناضول الى تركيا الممزقة، التي انكمشت كثيراً، والتي كانت في حالة حرب واعادة تشكيل. لقد كان هذا الاعتراض الكوردي كان محقاً، حيث تركزت الكثافة الكوردية السكانية، واستقرار مجتمعاتها المتجذرة في مناطق شاسعة من غرب نهر الفرات وحتى أواسط الأناضول في محيط أنقرة. ومن إسكندرون على البحر المتوسط جنوباً وحتى سيواس وأرزروم شمالاً. فعلى سبيل المثال دلت الاحصائيات أن الأغلبية النسبية لسكان لواء اسكندرون كانوا كوراً، حتى لو تم فصلهم عن جبل الكورد (منطقة عفرين) الواقع في شرقها، وجبل الأكراد المتصل بها جنوباً، والواقع حالياً في شرق محافظة اللاذقية: «تعداد سكانه يصل الى ١٢٥٠٤٢ شخص، هناك ٦٥١٤٧ مسلماً سنيا يتكلمون التركية، ويدعون احياناً بأنهم اتراك، لكنهم في الواقع وبأغلبيتهم أكراد وتركمان غير مدركين ذلك. انهم يقطنون سهل العمق والقسم الشمالي من الأمانوس بدءا من توب بوغاز (أبواب الحديد الشهيرة). والأكراد لا يتكلمون التركية فحسب، فإضافة الى لهجتهم المحلية، يستخدم عدد كبير منهم اللغة العربية ويجهلون التركية، وهؤلاء يقيمون الى الجنوب من سهل العمق. ووفق التقديرات الأكثر وثوقاً، لا يتجاوز عدد التركمان المتكلمين التركية أبداً عشرين الى خمس وعشرين ألف نسمة. أما باقي سكان السنجق فهم عرب ٣٧ ألف علويون، اضافة الى ٣١ ألف مسيحي.» (رباط، ٢٠٢٠، ص١٧٤). وعلى الأرجح هذا العدد الكبير من الفلاحين الكورد المستقرين

في سهل العمق تعود أصولهم الى قبيلة ريحانلي الكبيرة العدد المتنقلة تاريخيا بين مشاتي سهل العمق ومصايف الجبلية في الشمال، والتي تم تشجيعها على الاستقرار وممارسة الزراعة مطلع القرن التاسع عشر من قبل السلطات العثمانية: «وأحيانا لم يخصصوا بأماكن جديدة، وانما وجدت المصايف والمشاتي القديمة مناسبة لإسكانهم فيها. ويمكننا أن نقدم مثالاً على ذلك عشيرة أفشار التي اسكنت في أوزون ياپلا على ضفاف نهر زاماناتي. وعشيرة ريحانلي المؤلفة من ٢٠٠٠ خانة تشكل ١٢ فخذا، حيث أسكنت وبنيت البيوت في أراضي سهل العمق الخصبة في ايالة حلب. ولترغب وتشجع أفراد هذه العشائر على الزراعة وزعت عليهم اراضي الميري واراضي الأوقاف الخاوية دون مقابل» (أورهونلو، ٢٠٠٥، ص ١٦٤)

وعلى نفس مسار تراجع فرص الاستقلال الكوردي، تغيرت الموازين والمعادلات بشكل حاد خلال فترة قصيرة، إثر ميل الدولة السوفيتية الناشئة لدعم تركيا. حيث أن تأسيس الاتحاد السوفيتي من جهة، وبروز قوة الجيش العثماني بقيادة مصطفى كمال، وتحقيقه تقدما وانتصارات على جيوش الحلفاء من جهة أخرى، فضلا عن التردد البريطاني وترجيح سياسة ضم لواء الموصل، وبالتالي ضم وإلحاق مساحات شاسعة من المناطق الكوردستانية الخاضعة سابقا للحكم العثماني الى دولة جديدة تحت الانتداب البريطاني، هي دولة العراق. تداخلت هذه العوامل مع المصالح الفرنسية، حيث ضمت ما تبقى من سهول الجزيرة وسنجق دير الزور، وكل المناطق الكوردية شمال حلب وغربها الى دولة سوريا، بما فيه لواء اسكندرون. وبالتالي استكملت جغرافية سوريا المزمع تشكيلها تحت سلطة الانتداب الفرنسي عهدئذ. وبالتالي أفضت هذه العوامل إلى النتيجة المرجحة وهي إلغاء معاهدة سيفر والتمهيد لاتفاق جديد في لوزان في /٢٤/ تموز

١٩٢٣، وقد تمخض عن هذا الاتفاق ـ الصفقة تثبيت الحدود الحالية للدول في المنطقة من حيث المبدأ، والتوصية بتأمين الحقوق الثقافية للكورد داخل دولتي تركيا الجديدة، المقتصرة سكانياً، وبشكل حاد على الترك والكورد، وكذلك في دولة العراق المستحدث، الذي ضمت أيضاً مجتمعات كبيرة وأراضي واسعة من كوردستان العثمانية السابقة.

وبناء على قراءة سريعة لتلك المرحلة وملابساتها يمكن الاستنتاج بأن أبرز مسببات هذه التحول الحاد تجاه مستقبل كوردستان كانت:

أ- انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية من المفاوضات، كشريك ومشرف على تقسيم الدولة العثمانية. حيث كانت أمريكا الدولة – الحكومة الوحيدة (التحررية) عهدئذ، وكانت فقط مبادئ الرئيس ولسون هي التي تطالب بحق الشعوب (العثمانية) في تقرير مصيرها السياسي. على العكس تماماً من السياسات الكولونيالية البريطانية والفرنسية.

ب- عدم اقتناع الحلفاء عموما وكل من فرنسا وبريطانيا خصوصا بدعم وإعلان استقلال كوردستان، وهذا التردد كان يكمن وراء كل هذه المناورات التي تبعت الحرب العالمية الأولى وخاصة في أعوام ١٩٢١- ١٩٢٣، وعلى ما يبدو ثمة عامل آخر خفي لم يظهر إلى العلن بعد، وراء موقف الحلفاء السلبي من استقلال كوردستان في أكثر الأوقات ملائمة وسهولة لولادة هذه الدولة مثل غيرها في الشرق الأوسط.

ج- العمل على إلغاء الخلافة العثمانية جاءت من صميم الصفقة الكبرى، التي تلت سيفر. وكانت حافزاً على تقارب حكومة الكماليين القومية الجديدة مع الغرب المسيحي، ومدخلا لتغيير المنظومة الإسلامية الموحدة (الخلافة الإسلامية) في المشرق، وشكلت هذه الخطوة في الواقع أول رشوة قدمها الكماليون الترك للغرب، وأم حافز جديد للجهات الغربية ذات التفكير

الديني، والعقلية الانتقامية منها على وجه الخصوص لمعاقبة الكورد، المتهمين بالمشاركة في مجازر السلطة العثمانية المنفذة بحق المسيحيين داخل الإمبراطورية العثمانية، وخاصة في الأناضول الشرقي وكوردستان وأرمينيا. فضلاً عن تاريخهم البعيد الريادي والفعال في صد الغزوات الصليبية وطردهم من المشرق. وقد عززت هذه المخاوف ميل المجتمعات الكوردية المحافظة للبقاء على المنظومة العثمانية، والتي ترجمت في موقف سيد عبد القادر المحافظ، وكذلك تمظهرت في انتفاضة الشيخ سعيد ضد الكماليين لاحقاً، في سنة ١٩٢٥. حيث كانت تيارات كوردية واسعة مازالت ذات طابع إسلامي صريح، وداعي لعودة العثمانوية، وان اتخذت شكل انتفاضة كوردية.

ت- سبب تحالف الكماليين مع البلاشفة خللا في ميزان التحالفات، وفضل البلاشفة التحالف مع الكماليين، وحتى دعم موقف البلاشفة السلبي من المسألة الكوردية. وتهرب البلاشفة من عملية دعم استقلال الكورد، هذا الشعب الذي لم يكن على ما يبدو (مسجلا في دفاتر البلاشفة من الزاوية العملية على أنهم شعب يستحق حق تقرير المصير على ضوء النظريات والكراريس الماركسية - اللينينية المعتمدة لديهم).

ث- خوف بريطانيا من مواجهة أعداء جدد جراء التمسك بإعلان الدولة الكوردية ورعايتها، فعدد المتضررين من استقلال كوردستان كانوا كثراً: (روسيا، تركيا الكمالية، إيران الشاهنشاهية، القوميين العرب حلفاء بريطانيا الأساسيين إبان الحرب الأولى، فرنسا).

د- الرقعة الجغرافية الكوردستانية الواسعة، والثقل السكاني الكوردي الهائل والمتنوع، الذي لم يكن بمقدور أي قوة جمعهم في دولة قومية موحدة، دون العبور في مرحلة خطيرة، مرحلة ما يشبه انشاء امبراطورية

(كوردية إسلامية)، قد تورث العثمانية بسهولة.

مهدت هذه النقاط، وعوامل أخرى مستجدة لاتفاقية لوزان التي هي امتداد وانقلاب على سيفر في الوقت نفسه. وكانت أبرزها إعادة تركيا لتجميع قوتها العسكرية وخروجها من صدمة الهزيمة، وذلك في مواجهة حالة ضمور وتعب للقوى الأوربية، وعدم استعدادها لاستمرار الصراعات العسكرية، وميلها الموضوعي للتسويات السياسية، مع مراعاة الحد المقبول من الحقوق التركية في استعادة تركتها الإمبراطورية العثمانية الهائلة. حتى باتت لوزان والتوقيع على بنودها تحصيل حاصل، وتصفية أخيرة للحسابات الإقليمية والدولية.

٥- التسوية السياسية في معاهدة لوزان وتقسيم كوردستان العثمانية

لقد تفاعلت مجمل الأحداث بين أعوام ١٩٢٠ -١٩٢٣، وتغيرت موازين القوى خاصة لصالح القيادات التركية الجديدة، والتي استمدت دعمها من القوى التي تنافس فرنسا وبريطانيا، وخاصة روسيا التي توجهت في منحى ثوري جديد، صب في مصلحة الأتراك. فضلاً عن الانتصارات العسكرية التي حققتها. وفي هذا السياق تراجعت بريطانيا أمام النهوض التركي، والتهرب الأمريكي:

«وهكذا اضطرت إنكلترا الى التراجع. وفي مؤتمر وزراء خارجية بريطانيا وفرنسا وإيطاليا في باريس في كانون ثاني ١٩٢١ تقرر عقد مؤتمر خاص في لندن لإعادة النظر في معاهدة سيفر. حيث أصبحت البنود ٦٢ و٦٣ الضحية الأولى لهذا المؤتمر. ومن بعده، ومع انتفاء الحاجة الى ذكر اسم الكرد، تم طردهم نهائياً من اللعبة، بحيث لم يبق لديهم حتى مجرد مكان بسيط في المئة والثلاث والأربعين بنداً من بنود معاهدة لوزان التي حلت في ٢٤ تموز ١٩٢٣ محل معاهدة سيفر.» (مظهر،

٢٠١٣، ص٣٥٦)

لذلك، وكحصيلة لتقلب موازين القوة العسكرية والسياسية تم التمهيد لعقد معاهدة جديدة بين الدول ذات العلاقة مع ارث وتركة الدولة العثمانية. والتي انتقلت من موقع المنتصر الكامل الى موقع المفاوض لتقسيم التركة العثمانية من جهة، وإعادة صياغة النظام السياسي العام لمنطقة الشرق الأوسط من جهة أخرى، لذلك عرفت المعاهدة رسمياً باسم: (معاهدة معضلات الشرق الأوسط). وقد عبر الاسم بدقة عن المحتوى، لكن معضلات الشرق الأوسط لم تحل في تلك المعاهدة، ولا في تلك التي سبقتها. حيث كان قد ابرمت في لوزان سنة ١٩١٢ معاهدة لوزان الأولى. ولذلك تعرف معاهدة لوزان التي تم بناء عليها صياغة ورسم حدود الدول المعاصرة في الشرق الأوسط، بمعاهدة لوزان الثانية. فقد بدأت المفاوضات في لوزان في شهر تشرين ثاني سنة ١٩٢٢ واستمرت حتى يوم توقيعها في ٧/٢٤/ ١٩٢٣، وقد تولى رئاسة الوفد التركي عصمت اينونو. الذي حاول إطالة المفاوضات لأطول مدة ممكنة، كون القوات التركية كانت تتقدم على حساب تراجع قوات الحلفاء. وبدأت تسترجع المزيد من الأراضي العثمانية غرب وجنوب الأناضول. لقد أطال اينونو المفاوضات بهدف كسب الوقت وتحقيق مزيد من الإنجازات الدبلوماسية لصالح تركيا.

علماً أن الأطراف المتفاوضة كانت تتألف من ثمانية دول في الجبهة المواجهة لتركيا (العثمانية)، فقد فاوضت سلطات تركيا الدول التالية: (الإمبراطورية البريطانية، فرنسا، إيطاليا، اليونان، رومانيا، صربيا، كرواتيا، سلوفينيا)

ولقد تم الاتفاق في لوزان على ١٤٣ بند[١٤]، كل بند من البنود كان يلبي مصالح جهة مفاوضة وتحقق مصالح دولة. وقلما ظلت مشكلة سياسية، او إدارية، أو حتى اجتماعية ومالية قائمة بين الأطراف المتفاوضة ولم يتم حلها، بما فيه مشكلة القبور والمقابر (المادتين رقم ١٢٤،١٢٦). في حين لم يتضمن أي مادة إشارة الى المسألة الكوردية، أو حتى تأمين الحد الأدنى من مطالب وحقوق الكورد. فقد غاب ممثلي الكورد عن المفاوضات بشكل رسمي، وتم تمييع التمثيل الكوردي وتشتيته بين القيادات الكوردية والحكومة التركية التي أدرجت شخصيات كوردية في وفدها من جهة، كما كان رئيس الوفد التركي نفسه من أصل كوردي يعمل لصالح القومية التركية، وهو عصمت اينونو.

جدير ذكره، ان الطرف الكوردي الذي كانت ينظم ويوجه الزعامات الكوردية في تلك المرحلة، كانت جمعية ترقي كوردستان التي يتزعمها سيد عبد القادر، وقد أخطا عندما، طلب في نيسان ١٩٢٠ من شريف باشا الاستقالة من رئاسة الوفد الكوردي في سيفر، وأثرها لم يتشكل وفد كوردي ذات ثقل، وكان هذا الاجراء أحد أهم عوامل الضعف في الجانب التمثيلي والسياسي الكوردي. إذ أن الجبهة الكوردية تشتت قبل التوقيع على سيفر بأربعة أشهر، وان الخلاف اشتد بين الزعامات الكوردستانية، وتصادم أنصار الحكم الذاتي مع رواد الاستقلال. واستفاد الأتراك من ذلك الشقاق. لدرجة أن قرارات سيفر لم تصاغ بقوة بخصوص الاستقلال الكوردي التام. وكانت لكل ذلك علاقة بنهاية دور شريف باشا في باريس،

١٤ للاطلاع على الترجمة العربية الكاملة لنص المعاهدة وتفاصيل البنود ال 143 راجع المعهد المصري للدراسات على الرابط:
https//:eipss-eg.org%/D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B5%-D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A7%D9%85%D9%84%-D9%84%D9%85%D8%B9%D8%A7%D9%87%D8%AF%D8%A9%-D9%84%D9%88%D8%B2%D8%A7%D9%86-1923/

حيث عرف فيها ب (أبو الكورد). كما كانت نهايته، بداية النهاية لدور تيار المثقفين الكورد. وسيطر مصطفى كمال على مفاصل كوردستان، وتحرك عبر عملائه الكثر، خاصة سليمان نظيف وغيره. انتقلت بعدها الزعامات الكوردية الى سوريا ولبنان ومصر وحاول شريف باشا لقاء الملك فيصل لكنه فشل لقد حصل الجميع على حقوقهم سوى الكورد. (آلاكوم، ٢٠٠٤، ص١٤١ – ١٤٣)

لا يمكن فصل اتفاقية سيفر عن لوزان، فهما متشابكتان والثانية تعديل وتصحيح للأولى، مع إضافة تفصيلات تنفيذية. اذ تم بموجب لوزان إلغاء أغلب نتائج معاهدة الصلح في سيفر ١٩٢٠، والتي كانت تتضمن بنوداً تقوض تماماً كيان الدولة التركية، وأولها الإقرار باستقلال كوردستان العثمانية: «ان ضم أرمينيا الى الاتحاد السوفيتي في ٢٠ كانون الأول ١٩٢٠ ومعاهدة الصداقة والأخوة في آذار ١٩٢١ الموقعة مع موسكو أتاح لأنقرة أن تنقل قواتها إلى الجبهة الغربية. قرر الفرنسيون والايطاليون، الذين اندلعت ضدهم مقاومة محلية، خاصة من الوجهاء، مغادرة الأناضول في تموز ١٩٢١، فتمكن مصطفى كمال من حشد معظم قواته ضد الجيش اليوناني. أخيراً، انتهى مؤتمر لندن في شباط ١٩٢١ الذي يمنح لأنقرة، في الواقع، وضعية المفاوض التركي الوحيد، انتهى الى عزل اليونان على الصعيد الدبلوماسي، وعلى هذا الأساس من إعادة تأهيل القوات الكمالية تم التحضير لهجمات مضادة من قبل أنقرة على الجيش اليوناني المتناثر على أراضي شاسعة في الأناضول. وقد شن آخر هجوم مضاد بقيادة مصطفى كمال شخصياً، في آب ١٩٢٢، وفي أيلول سقطت سيمرنا، الأمر الذي أدى الى فرار الجيش اليوناني. وكان الجلاء دون قتال في تشرين الأول عن الدردنيل وإسطنبول إشارة دلت على نهاية الحرب.» (بوزرسلان، ٢٠١٠،

ص٤٠)

في ظل هذا النهوض التركي الرسمي ممثلاً بحكومة أنقرة، وكذلك الهبة الشعبية التركية القومية والإسلامية في وجه الغرب، عانت القوى الكوردية ونخبها القيادية من تشتت وتضارب في التوجهات، حتى باتت غائبة عن الساحة الدبلوماسية، لدرجة لم تستطع أن تحضر مؤتمر لوزان بصفة رسمية أو شعبية قوية: «إلا أن كمال لم يحقق هدفه عقب ذلك، وهو انشاء الجمهورية، وبقي منتظراً، فقبل كل شيء لابد من الاعتراف بالاستقلال الوطني وكذلك بحدود الأراضي التي تم فتحها من جديد، وهذا ما تحقق في لوزان بعد مفاوضات شاقة خاضها عصمت باشا. وفي ٢٤ تموز ١٩٢٣، تم التوقيع على المعاهدة الجديدة، والتي ألغيت سيفر. الكرد، أيضا كانوا قد أرسلوا وفوداً لكنها كانت غير منظمة ومن دون أي وحدة في العمل والإرادة، ولم تتمكن من المنافسة في هذه القضايا الأتراك.. لقد نجح الأتراك في جعلهم يعتقدون بأنهم سيحصلون على حكم ذاتي ما في تركيا الجديدة. ومن جهة أخرى لم يشهد الوضع في الموصل أية حلول على أمل أن يتم ذلك فيما بعد تحت رعاية عصبة الأمم.» (ماريسكوت ،٢٠٢٢، ص٣٠)

إثر التوقيع على معاهدة لوزان ووضعها في سياق التطبيق العملي، دشنت مرحلة جديدة من تاريخ الشرق الأدنى وجوار تركيا المعاصرة، ومازالت نتائج هذه المعاهدة ثابتة على الأرض، وتتسم بالرسوخ، لأن العديد من القوى العظمى تحمي مخرجاتها. وأهم تلك النتائج كان استعادة تركيا لمناطقها ومدنها الغربية الحساسة، كاستانبول وسيمرنا (أزمير). واتخاذ شرق الأناضول مركزا لتركيا الجديدة، لذلك تم تثبيت وازاحة العاصمة الجديدة نحوها، فاتخذت أنقرة عاصمة جديدة للجمهورية التركية، وطويت

صفحة إستانبول كعاصمة مع طي صفحة السلطنة العثمانية. بحيث طويت أيضاً مع مرحلة إستانبول المزدهرة، لأنها كانت تعبر عن التنوع ولقاء الشرق بالغرب، لتحل محلها مرحلة أنقرة التي باتت رمزاً للدولة المركزية القومية التركية الصلبة، التي تحارب وتخشى التنوع واللامركزية. حيث عملت حكومة أنقرة بعد اتفاقية لوزان بمنهجية عميقة متعددة الجوانب على تهشيم المجتمعات الكوردية، واذابتها في الثقافة – الدولة (التركية الجديدة). لقد تعسرت في هضم مجتمعات كوردستان العثمانية الراسخة، اذ واجهت انتفاضات كبيرة وحركات عاصفة تلخصت في: «ثلاث ثورات كردية، ثورة الشيخ سعيد (١٩٢٥)، وثورة آرارات (١٩٣٠)، وثورة ديرسم (١٩٣٦ – ١٩٣٨)، زعزعت النظام على نحو جدي، مرغمة إياه على حشد عشرات الألوف من الجنود. قمع الثورة الأولى، الذي تطلب تعاوناً عسكرياً مع فرنسا، القوة المنتدبة على سوريا، أدى من دون شك الى سقوط ١٥ ألف ضحية في صفوف السكان المدنيين. واعتبرها مصطفى كمال حرب مُثل.» (بوزرسلان، ٢٠١٠، ص٥٨). وهذه المُثل التي قصدها مصطفى كمال هي (المثل) التي تتبناها القومية التركية الجديدة، والتي أدرجت في الدستور في صيغة مكثفة: أن تركيا هي للأتراك فقط، واللغة التركية هي اللغة الوحيدة. وهكذا تسلسلت القيم التركية المعاصرة، والتي على ضوئها تم إبادة المجتمعات المختلفة والمتمايزة عن ثقافة ومثُل المجتمعات التركية.

٦- مهدت معاهدة لوزان للانتقام من المجتمعات الكوردية

لقد كانت من نتائج وسياسات مرحلة ما بعد لوزان، هو التعاون بين القوى الموقعة على الاتفاق في سبيل ضرب حركات الاستقلال الكوردية، والمساهمة العملية في استقرار ووحدة تركيا، وسلامة حدودها الدولية. فقد

تعاونت كل من بريطانيا وتركيا وروسيا وإيران في قمع انتفاضة آكري الكوردية – الأرمنية: «اتخذ سحق انتفاضة آكري – آرارات، التي شارك فيها الى جانب الكورد مقاتلون أرمن من الطاشناك، شكل تدمير واسع للقرى الكردية، بحسب وصف الصحافة التركية. وقد استند قمعها على تعاون نشيط بين تركيا وبريطانيا العظمى وإيران والاتحاد السوفيتي. أخيراً، كان قمع انتفاضة ديرسم التي اندلعت ١٩٣٥ في أعقاب قانون بإخلاء غير مشروط لمنطقة ديرسم من السكان، قد اتخذ بعداً شبيهاً بالإبادة الجماعية، بحسب مارتن فان برونسون. وقد عدت على أنها حرب استقلال داخلية.» (بوزرسلان، ٢٠١٠، ص٥٩)

وعلى الرغم من هذا التعاون الدولي والإقليمي مع تركيا، للحفاظ على دولتها المركزية، ولقمع الحركات الاستقلالية الكوردية، والأرمنية بدون شفقة، ظلت سلطات تركيا الحديثة تعاني من حالة رعب وعقدة المستعمر المحتل، الذي ضخم من ميزانيته العسكرية على حساب التنمية والرفاه الاجتماعي. لقد عانت الحكومات التركية المتعاقبة من فكرة خطر تناثر وانقسام تركيا، لذلك قاوموا الحركات الاستقلالية الكوردية بعنف وقمع دموي، عبر تدمير آلاف القرى والبلدات بطريقة ليس لها نظير. بل أعادوا الحسابات، وفتحوا من جديد صفحة كل الشعوب التي قامت بحركات الاستقلال ضد العثمانيين، لذلك صبوا كل حقدهم على الشعوب التي قاومت الأتراك، وخاصة العرب، عبر الانتقام المتأخر من الكورد: «كانت السلطة الكمالية في الواقع موسومة بتناذر فكرة تجزئة تركيا. فكان قمع المقاومة الكردية يعتبر الشرط اللازم للتخلص من هذه اللعنة. وهكذا في عام ١٩٢٥، أعدم الشيخ سعيد ورفاقه ليس فقط لأنهم تمردوا وإنما أيضاً لأنه كان ينبغي عليهم أن يكفروا عن الذنوب الانفصالية لباقي الشعوب

الإسلامية. فكان قرار الإدانة ينص: (ان دوافع وأسباب التمرد الأخير في المقاطعات الشرقية من الوطن التركي الخالد هي مماثلة لتلك التي ثارت، في ماض ليس ببعيد، في البوسنة والهرسك المحاطة من ثلاث جهات بأعراق ليست تركية ولا مسلمة، ولتلك التي دفعت الألبان، رغم خمسة قرون من إخاء، الى طعن الأتراك في الظهر، وهم اللذين لطالما أظهروا محبة كبيرة لمواطنهم... إن الهدف والغاية اللذين ولدا الثورة الكردية هما ذاتها اللذين كانا قد أفسدا سوريا وفلسطين. البعض منكم منقادون بأنانيتهم، وآخرون بنصائح من الدعاية الأجنبية وبأطماع سياسية، ولكنكم جميعاً متفقون على نقطة واحدة، ألا وهي إقامة كردستان مستقلة، سرتم الى الأمام. وعلى أعواد المشانق سوف تدفعون ثمن المنازل المدمرة، والدم المراق.» (بوزرسلان، ٢٠١٠، ص٦٠)

وهكذا كما تم ملاحظته، فقد دشنت اتفاقية لوزران من جديد، لشوط آخر من مسيرة الدم والمشانق والاعدامات ضد الكورد، ولم تتوقف سياسات تدمير القرى وترحيل سكانها منذ ذلك الاتفاق. ولا يعاني الدارس صعوبة في الاستنتاج على أنه قد ساعدت أنقرة في سياساتها القمعية كل من دول الحلفاء وروسيا السوفيتية للسير بهذه السياسة، وتسهيلها كمقدمة لتسهيل عملية توزيع الأراضي بين الدول الجديدة، وتجنب الخلاف على رسم الحدود فيما بينها. وبالتالي انعكست هذه السياسات الجديدة بشكل مباشر على توزيع الأراضي بين الدول الكولونيالية المنتصرة. ومن ضمنها كوردستان العثمانية، التي انقسمت بشكل رئيس بين ولاية الموصل، والجزيرة الفراتية وما تبقى منها من أراضي الولايات ذات الغالبية الكوردية في شرق جمهورية تركيا الجديدة.

لقد جاءت اتفاقية لوزان لتلغي اتفاقية سيفر التي كانت تفتح المجال

لنشوء دولة كوردية كبيرة، ودولة أرمنية، وبالتالي كانت ستخسر تركيا شرق الأناضول وأعالي الجزيرة الفراتية بشكل نهائي. لكنها رفضت هذا البند، وقاتلت في سبيل إلغائه، وهذا ما تم. وفي المحصلة ربحت تركيا وكذلك الطرف العربي الذي ساندته التوجهات البريطانية، والصهيونية كمقدمة لتسوية سياسية كبرى: «على إثر انتصار الأتراك على اليونان عقد مؤتمر من الحلفاء في مدينة لوزان للاتفاق مع تركيا على معاهدة جديدة فعقدت معاهدة لوزان في ٢٤ تموز ١٩٢٣ التي نصت على القضاء على استقلالية أرمينيا واعادتها الى تركيا وعن تخلي اليونان عن أزمير وتراقيا الشرقية واعادتها أيضا الى تركيا وعن الغاء المراقبة الدولية على المضايق على ان تحترم تركيا حرية العبور فيها. وأخيراً نصت هذه المعاهدة على الغاء الامتيازات الأجنبية التي تمتعت بها الدول الاوربية في الدولة العثمانية ما يزيد على ثلاثة قرون ونصف، وهكذا نسفت معاهدة سيفر ولم يبق منها سوى تنازل تركيا عن البلاد العربية.» (حماده، ١٩٣٥، ص١٨٣)

وهذه التنازلات الكبرى جاءت تحت ضغط بريطاني - فرنسي - إيطالي واسرائيلي في الظل، للاستفادة من عدم قدرة المجتمعات العربية على إدارة نفسها، وترسيخ نظام كولونيالي اوربي تحت بند سياسة الانتداب في البلاد العربية، التي مهدت جميعاً لتسهيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

٧- معاهدات كتبت بيد الشيطان

المسألة الجوهرية بالنسبة لبحثنا هذا هو ان كوردستان العثمانية قد قسمت ووزعت على ثلاث دول وربما أربعة، بل خمسة بشكل دقيق. لإرضاء تركيا وداعميها. وتم التسوية على حساب الكثير من الخلافات والجزئيات، ولكن الخاسر الوحيد والأكبر كان شعب كوردستان، وكيانه

الجغرافي الواسع، ومجتمعات كوردستان النشيطة، التي تم تحطيمها بمنهجية، وبموافقة العديد من الدول وخاصة: (بريطانيا – فرنسا – روسيا، ايطاليا، اضافة الى إيران وألمانيا). وضمنا أمريكا، في صيغة تلخصت بعملية تخلي ويلسون عن مبادئه. فضلا عن صعود الحكم العربي في العراق بقيادة الملك فيصل بن الحسين.

باختصار نذكر بأبرز نتائج لوزان، خاصة البند الأهم، الذي غير مصير منطقة شمال الشرق الأوسط، وقد كان البند الأهم بصفة مطلقة لتركيا هو استرجاع منطقتي أزمير واسطانبول، وطي صفحة الحكم الذاتي الكوردي، وبالتالي ضم كل مناطق شرق الأناضول، والقسم الشمالي من الجزيرة الفراتية رسميا اليها. ولم تعد تركيا كما كانت بموجب اتفاقية سيفر رقعة صغيرة محاصرة ضمن الأناضول، وإنما عادت بموجب اتفاقية لوزان الى حجمها ومساحتها المعاصرة، لتصل الى حدود إيران شرقاً والمضائق البحرية وحدود اليونان غرباً. كما كانت من أول ثمار اتفاقية لوزان هو تطبيع العلاقات مع الدول الأوربية التي خاضت تركيا العثمانية الحرب ضدها، وبالتالي تم التأسيس لصيغ مستقبلية جديدة من التعاون الثنائي.

وفي الجوهر شكلت معاهدة لوزان انتصاراً سياسيا لشخص مصطفى كمال، وكانت بالتالي الخطوة الأولى نحو تأسيس الجمهورية التركية، وطي صفحة (الخلافة والسلطنة العثمانية التي وقعت على معاهدة سيفر وقبلت بها، ثم اتهم الموقعين بالخيانة من قبل الاتحاديين الأتراك).

يمكن التكثيف القول، وترجيح الرأي بأن خسارة الحكم العثماني تجسد في سيفر، في حين ترجم انتصار التيار القومي الكمالي بمعاهدة لوزان. اذ أن لوزان مهدت لنشوء جمهورية مركزية صلبة، وساهمت في تعويم التيار الكمالي، وبالتالي فتح المجال سياسياً ودبلوماسياً أمام ما عرفت لاحقاً

(كماليزم) كأحد الحركات القومية الراديكالية العلمانية في النصف الأول من القرن العشرين. وساعدت مخرجات لوزان في تحقيق شعاراتها الحادة: (دولة واحد، لغة واحدة، علم واحد). كما ساعدت تركيا الكمالية كل من بريطانيا، فرنسا، أرمينيا، آذربيجان، في هضم وتفتيت ايالة كوردستان العثمانية الكبرى. هذه الايالة التي كان من الصعب على تركيا الجديدة والضعيفة من الناحية الديمغرافية من حكمها أو هضمها لوحدها، لذلك قسمت حتى باتت سهلة الهضم من قبل ثلاث جهات كولونيالية.

إن نظرة مجردة وموضوعية الى ما حدث في باريس أثناء مفاوضات الصلح، وما نجم عنها من مناورات ومساومات، من اتفاقيات ومعاهدات بين الدول الكبرى، والتي توجت بمعاهدة لوزان تجعل المتتبع يتفق تماماً مع ما علق به الديبلوماسي الأمريكي جورج كينن على معاهدات الصلح بعد الحرب العالمية الأولى، حيث قال: (لقد دونت مآسي المستقبل في هذه المعاهدات بيد الشيطان)[١٥]. فأقل ما يمكن أن يقال عنها أنها لم تستطع تجنب البشرية مأساة حرب عالمية ثانية. (مظهر،٢٠١٣، ص٣٥٦)

وفي المحصلة فتحت معاهدة لوزان الطريق لمسار السياسات القومية المركزية التركية العنيفة التي لم تحرم الكورد من حقهم في تقرير المصير السياسي فحسب، بل فتحت أوسع الطرق وأمنت المساعدات اللوجستية للقيادة التركية كي تشن حرب طويلة الأمد ضد الكورد والأرمن، وعلى نطاق أضيق ضد اليونان. حملات تحققت عبر مجازر وحروب إبادة جماعية، عمليات احلال سكاني وهندسة ديمغرافية عنصرية داخل عموم تركيا، ومناطق كوردستان في شرق الأناضول وشمال غرب نهر الفرات بشكل خاص. لقد كانت معاهدة لوزان غير عادلة، وغير أخلاقية كما

١٥ للتفاصيل راجع:

G. F. Kennan, American Diplomacy 1900 – 1950, Seventh Printing, New York, 1959. P61

وصفها ولخصها القنصل الروسي والأكاديمي، وعضو جمعية باريس الآسيوية، ولخص رأيه حول اتفاقيتي سيفر ولوزان واشكالية طي صفحة الدولة الكوردية، مدوناً: «بأن لوزان لم تكن عادلة وتظل متخلفة وغير أخلاقية». وذلك في رسالة الى جريدة لومتان (الزمان) الفرنسية في سنة ١٩٣٧، ولم تنشر الرسالة في حينها، وإنما نشرت في كتابه الكورد دراسة سوسيولوجية وتاريخية: «من الممكن أن تكون معاهدة (سيفر) قد فسرت تفسيراً سيئاً من وجهة النظر السياسية ولم يعد تطبيقها ممكناً في النتيجة. إننا لا نريد بأي وجه في هذا المجال إعادة بناء التاريخ الدبلوماسي لآسيا الصغرى ما بعد الحرب، ولكن المعاهدة المذكورة كانت قد استصوبت ضمن أساس الاعتراف بمبدأ وجود كردستان مستقل ذاتياً، تقدم المبادئ الأخلاقية الدولية، في حين أن معاهدة لوزان لم تأخذ هذا الموضوع بنظر الاعتبار بمزيد الأسف، فهي من حيث تقدم وتطور الحقوق الدولية معاهدة متخلفة.» (نيكيتين، ١٩٩٨، ص٤٩٨).

وبعد مرور قرن على توقيع اتفاقية لوزان تتضح الخيوط المتشابكة للسياسة الدولية، وتفصح جزئياً عن الشراكة بين كل الموقعين على هذه الاتفاقية، إضافة الى تعاون روسيا من خارج قاعة المجتمعين.

لدرجة أنه يمكن تلخيص هذه الشراكة بجملة واحدة وتوثيقها بقلم باحث أكاديمي تركي أصيل، كحصيلة لدراساته المستفيضة حول مآل المجتمعات الكوردية بعد اتفاقية لوزان: «كوردستان مستعمرة دولية»[١٦].

لقد دفع الشعب الكوردي ضريبة باهظة لكون بلاده تحولت منذ أواسط القرن التاسع عشر وحتى أواسط القرن العشرين الى مستعمرة

١٦ كردستان مستعمرة دولية. عنوان كتاب للدكتور إسماعيل بيشيكجي. ترجمة: زهير عبد الملك. السويد -1998

دولية، ونهبت نفطه ومحاصيله الزراعية، وتحطم مستقبله السيادي بسبب الدبلوماسية السرية للدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى، وبراغماتيتها في التعامل مع صعود القوميين الأتراك، وتعاونهم مع السوفييت، وتوفير المناخ في الشرق الأوسط لولادة دولة إسرائيل.

OOOOO

المراجع والمصادر بحسب نظام هارفرد

١- آلاكوم، روهات (٢٠٠٤)، شريف باشا السنوات العاصفة لدبلوماسي كردي. ترجمة: شكور مصطفى. إقليم كوردستان العراق- دهوك

٢- أورهونلو، جنكيز (٢٠٠٥)، إسكان العشائر في عهد الامبراطورية العثمانية. ترجمة: فاروق مصطفى، دمشق

٣- بيشيكجي، الدكتور إسماعيل (١٩٩٨) كردستان مستعمرة دولية. ترجمة: زهير عبد الملك، السويد

٤- بوزرسلان، حميد (٢٠١٠)، تاريخ تركيا المعاصر. ترجمة: حسين عمر. الدار البيضاء. المغرب

٥- حسرتيان، وجليل، جليلي (١٩٩٢). الحركة الكردية في العصر الحديث. ترجمة: عبدي حاجي. بيروت

٦- حماده، محمد عابدين (١٩٣٩)، التاريخ المعاصر وفقاً لبرنامج البكالوريا السورية، دمشق

٧- مظهر، الدكتور كمال أحمد (٢٠١٣)، كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى. ترجمة: محمد الملا عبد الكريم، بيروت

٨- سلطان، الدكتور علي (١٩٨٧)، تاريخ سورية (١٩٠٨ – ١٩١٨) نهاية الحكم التركي. جزء أول، دمشق

تاريخ سورية (١٩١٨- ١٩٢٠) حكم فيصل بن الحسين. جزء ثاني.

دمشـق ١٩٨٧

٩- ماريسـكوت، اليزابيـت (٢٠٢٢)، الجمهوريـة التركيـة والمسـألة الكورديـة. مواجهـة مأسـاوية. ترجمـة عـن الإنكليزيـة: رضـوان شـيخو. تقديـم ووضـع الهوامـش: علـى جزيـري، أربيـل

١٠- مكـدول، ديفيـد (٢٠٠٤)، تاريـخ الأكـراد الحديـث. ترجمـة: راج آل محمـد، بيـروت.

١١- شـانيولو، جـان بـول. وسـياح، سـيدي (٢٠٠٦). مسـألة الحـدود فـي الشـرق الأوسـط. تعريـب حسـين حيـدر، بيـروت

١٢- ربـاط، إدمـون (٢٠٢٠)، تطـور سـوريا السياسـي فـي ظـل الانتـداب. ترجمـة: سـليمان رياشـي، بيـروت

١٣- لازايـرف، م. س. حسـرتيان، م. أ. شـاكرو محويـان، أولغـا جيغالينـا. جليلـي جليـل (٢٠١٢)، الحركـة الكرديـة فـي العصـر الحديـث. ترجمـة: عبـدي حاجـي. كوردسـتان العـراق. ط٢، دهـوك.

١٤- نيكيتيـن، باسـيلي (١٩٩٨)، الكـرد، دراسـة سوسـيولوجية وتأريخيـة. ترجمـة الدكتـور نـوري الطالبانـي، بيـروت

+++++

- **المراجع باللغة الكوردية**

Serhat Bozkut, Alişan Akpinar, Rûken Alp)2011 (, KURDISTANA OSMANÎ, ISTANBOL.

حوارات

حوار مع الدكتور محمد حبش

حوار مع الدكتور محمد حبش

أجرى الحوار: محمد دلي

بون ٢٣ آذار ٢٠٢٣ م

الدكتور محمد حبش من مواليد دمشق ١٩٦٢، وهو عالم ومفكر إسلامي وبرلماني سابق وأكاديمي من سوريا.

نشأ في مدرسة عمّه (والد زوجته) الشيخ أحمد كفتارو للعلوم

الإسلامية في دمشق ونال الإجازة في الشريعة من جامعة دمشق وثلاث درجات ليسانس في العلوم العربية والإسلامية من جامعات دمشق وطرابلس وبيروت كما حصل على الماجستير والدكتوراه من جامعة القرآن الكريم في الخرطوم

قامت جامعة كرايوفا الرومانية بترجمة كتابه للرومانية واعتبر مقرراً على طلبة كليات اللاهوت في الجامعة، حيث تم تسليم الدرجة العلمية الفريدة في القاعة الزرقاء بالجامعة في حفل رسمي كبير.

تبنى الدكتور محمد حبش التجديد الديني، متأثراً بشكل خاص بالشيخ أحمد كفتارو والشيخ جودت سعيد وأطلق مشروعه عبر مركز الدراسات الإسلامية بدمشق الذي أسسه وأشرف عليه، وعقد عدة مؤتمرات إسلامية لتعزيز خطاب التنوير الإسلامي. وأسس رابطة كتاب التنوير كما انتخب مرتين رئيساً لجمعية علماء الشريعة في سوريا.

صدر له ٥٢ كتاباً مطبوعاً في قضايا التنوير الإسلامي كما اشتهر بمقالاته الجريئة في الصحف العربية، وبرامجه الكثيرة على المحطات الفضائية والإذاعات العربية.

أعلن موقفه من الأحداث في سوريا، ورفض الحل العنيف الذي تبناه النظام، ورفض كذلك التسلح الذي قام به الثوار، ودعا إلى إلقاء السلاح والجلوس على مائدة الحوار

جاءت أفكاره صادمة للخطاب التقليدي وانتقدته الشخصيات المحافظة، فيما لاقت قبولاً كبيراً لدى الاتجاهات التنويرية والتحديثية في الإسلام، وأدى ذلك إلى سلسلة من المواجهات الفكرية في عدد من الصحف وهو يمارس الخطابة والإمامة والوظائف الدينية وينشر آراؤه في العديد من

المواقع الإعلامية وكتب كثيرون عنه وعن أفكاره وآرائه.

أعدّ دراسة جديدة بعنوان كردستان: الحضارة الواثبة وهو ينتظر الناشر المناسب لإصداره.

انتخب في عام ٢٠٠٦ نائباً لرئيس المنتدى الإسلامي العالمي للوسطية، وهو عضو في مجلس الأمناء في الجامعة الإسلامية بإسلام آباد وفي جامعة الجزيرة وعضو في اتحاد الكتاب العرب وعدد من المنظمات الإسلامية الدولية والمحلية، كما مارس التدريس الجامعي في كلية الشريعة وكلية أصول الدين وكلية الدعوة الإسلامية والأكاديمية العسكرية العليا في سوريا وأشرف على عدد من رسائل الدكتوراه والترقيات في الجامعة الأردنية وكلية الدعوة الإسلامية.

حصل على عدد كبير من الجوائز واسندت إليه مهام كثيرة. انتقل منذ ٢٠١٢ إلى الإمارات (وهو مقيم فيها حاليا) حيث عمل أستاذاً مشاركاً في جامعة أبو ظبي، في كلية الآداب والعلوم، ثم في كلية القانون، يتولى تدريس المساقات الإسلامية في الجامعة.

حاضر كأستاذ زائر في عدد من الجامعات الدولية أهمها: جامعة هلسنكي بفنلندا ١٩٩٨ - جامعة لوند بالسويد ٢٠٠٣ - جامعة كرايوفا - رومانيا ٢٠٠٩ - جامعة أوسلو - النرويج ٢٠١٢ - جامعة روستوك - ألمانيا ٢٠١٦ وجامعات أخرى.

فيما يلي نص الحوار:

بداية نشكركم على تلبية دعوتنا في اعطاء وقتكم لهذا اللقاء، وكما كنا حريصين أن تصلك المجلة وأنت في دمشق، وعلى الرغم من مخاطرها عهدئذ. نكرر ترحيبنا بكم ضيفاً عزيزاً على قراء مجلة (الحوار). يقال إنه لنشأة الانسان وسنواته الأولى تأثير كبير على مسيرة حياته تالياً... حبذا نبدأ بالبدايات، وجانب من السيرة الشخصية.

أهلا بكم، أشكركم للاهتمام بي، وأتمنى أن أقدم خبرتي باختصار للقراء الكرام لعلهم يجدون فيها ما يفيد، فالحياة مدارس، والدنيا خبرات، وإن كنت غير راض بالطبع عن كل الخطوات التي اتخذتها في حياتي ولكن على كل حال فأنا قادر على تقييمها بشكل جيد، ولعل التاريخ أكثر منا عمقاً ومعرفة، وأدق حكماً.

السؤال الثاني:

كيف كانت حياتكم الدراسية في العلوم الإسلامية، هل كانت علمية بحتة؟ أم دعوية؟ ومصاعب التحصيل العلمي من الاجازة في الشريعة إلى التخصص في جامعات عديدة. وبالمناسبة ما الذي عالجته وبحثت فيه ضمن موضوع رسالة الدكتوراه في جامعة الخرطوم؟

لقد نشأت في التعليم الديني وحفظت القرآن الكريم في الثالثة عشرة، ورزقت صوتاً عذباً في القرآن الكريم، وبالفعل فقد توفرت لي منابر ومنصات إعلامية مدهشة خلال سنوات قصيرة وصارت تلاوتي في كل مكان في الفضائيات العربية، ثم انخرطت في تحصيل القراءات القرآنية المتواترة فحصلتها إسناداً ورواية كما حصلتها بالتحصيل الأكاديمي، ولم يكن هذا الاختصاص متوفراً إلا في بلاد قليلة، فرحلت إلى السودان حيث

كانت جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية توفر إحدى عشرة كلية في الإسلاميات ووجدت اختصاصي فيها بشكل أكاديمي مناسب، وتمت مناقشة الدكتوراه بإشراف أستاذي الدكتور وهبة الزحيلي ولا زلت أذكر كلمته في المناقشة وقال فيها: هذه أول مرة في حياتي الطويلة أناقش رسالة ضمن لجنة فيها رؤساء جامعات فقط!، حيث اختارت الجامعة تكريماً لي وللدكتور الزحيلي كلاً من د. علي با بكر رئيس جامعة أم درمان والدكتور عبد الرحيم علي رئيس جامعة أفريقيا العالمية والدكتور أحمد علي الإمام رئيس جامعة القرآن الكريم وتمت المناقشة وحصلت على الدكتوراه بدرجة الامتياز وهي درجة الشرف العليا.

السؤال الثالث:

وماذا عن حوار الأديان وجامعة كرايوفا الرومانية؟

كان نشاطنا في مركز الدراسات الإسلامية في دمشق يتركز في الدعوة إلى إخاء الأديان وهي الدعوة التي اعتبرها بعض أصدقائنا ومشايخنا دعوة لتقويض الإسلام، حيث يجب أن يبدأ أي حوار بتسليم الطرفين بهيمنة الإسلام واستعلائه، وأنه نسخ الأديان جميعاً وأنه لا مكان في العالم كله إلا للتوحيد الإسلامي أو الكفر والجاهلية.

وقد زارنا خلال السنوات الخمسة التي نشط فيها مركز الدراسات أكثر من ثلاثمائة وفد أكاديمي من مختلف قارات العالم، وسمعوا حواراتنا بوضوح، ومن هذه الزيارات كانت زيارة السيد بوريس جونسون قبل أن يتولى رئاسة الوزراء في بريطانيا حيث زارنا في المركز وتحدث طويلاً عن روح الإخاء بين الأديان التي نتبناها، وقد نشر ذلك في فيلمه الشهير: ما بعد روما () ولا زال موجوداً على اليوتيوب.

وكان من أهم الوفود التي زارتنا وفد أساقفة رومانيا، مع السيد السفير الروماني في دمشق السيد دان ساندوفيتش وهو رجل ثقافة ومعرفة وعلم، وقد اطلعوا بدقة على ما نقوم به من حوار الأديان ضمن ظروف صعبة وعسيرة، وفي مركز خاص لا يتلقى أي دعم حكومي، واطلعوا على موقفي في قراءة الأديان المتساوية والصراطات المستقيمة، وهي قراءة تنسف مفاهيم العصور الوسطى التي كرست الحروب الصليبية والغزوات العثمانية على أوربا وأشعلت نار الكراهية قروناً سوداء...

بعد أسابيع تلقيت عرضاً من جامعة كرايوفا وهي أعرق الجامعات الحكومية في رومانيا لإلقاء محاضرات في الجامعة، كما قامت الجامعة باختيار كتابي في السيرة النبوية وتمت ترجمته إلى اللغة الرومانية ودخل مناهج الجامعة.

بعد ذلك تلقيت عام ٢٠١٠ خطاباً رسمياً من الجامعة أنها قررت منحي درجة دكتوراه الشرف وهي درجة تقوم الدامعة بمنحها كل سنتين مرة واحدة لشخص واحد، وبالفعل دعيت إلى حفل مهيب في القاعة الزرقاء في الجامعة العريقة، وتم تكريمي على أعلى مستوى في الجامعة، وقد اعتبرت الجامعة أن مشروعنا هو جسر حقيقي بين الإسلام والحضارة الغربية.

السؤال الرابع:

برأيكم ما السبب الرئيسي الذي يكمن وراء المواقف السلبية للقوى والشخصيات الإسلامية من القضية الكردية بشكل عام؟ وما الفارق بين مواقف العلماء المسلمين العرب ومواقف رجال الدين الكورد (احمد كفتارو ـ الدكتور معشوق الخزنوي ـ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي..) كنماذج للمقارنة. وبالتالي خلاصة رأيكم حول الاضطهاد الذي يعانيه

الكورد من منظور شرعي؟

في كردستان شعب واثب، بات يمسك أقداره بيديه، ويرسم ملامح مستقبله، يعيش في قلب جبال زاغروس الصديقة للكرد، والتي تحمل أسرارهم وكفاحهم وجراحهم وآمالهم.

في الإقليم والمحافظات الستة المجاورة له في إيران: أذربيجان وكردستان وكرمانشاه وعيلام وعبادان والأحواز يعيش نحو عشرين مليون كردي يقابلهم عدد مماثل في تركيا، وعدة ملايين في سوريا.. لهم تاريخ وفن ومجد، تحمله لغة عظيمة تواطأ العالم على تهميشها ولكنها تنبعث من جديد في شمس كردستان.

والقضية الكردية قضية عادلة وإنسانية، وهي حكاية شعب عانى طويلاً من الظلم والاضطهاد، وأخفقت كل المشاريع السياسية في المنطقة في منحه حقوقه المشروعة، وحين سقطت الدولة العثمانية وزعت المنطقة بين أربع كيانات سياسية، وقيل للكرد ستقوم دولة المواطنة والديمقراطية والحرية وسيعيش الجميع بوئم وسلام بلا مظالم، وقد رضي الكرد، ولكن المفاجأة كانت أن المشاريع كانت قومية متعصبة للغاية وطبقت إيران نظاماً فارسياً شوفينياً ضد الكرد وطبقت تركيا نظاماً طورانياً متعصبا، فيما طبقت سوريا والعراق نظاماً بعثياً قومياً عروبياً سحق القوميات الأخرى بيد من حديد.

كثير من الشخصيات الكردية المشهورة اختارت التكيف مع الظلم وتخلت عن حقوق الكرد وطبقت براغماتية متوارية تخلت فيها عن واجبها الإنساني، وكرست مبدأ التعايش مع مطالب النظم الشمولية على الرغم مما تسحقه هذه النظم من الحريات وحقوق الإنسان.

كان الشيخ معشوق رحمه الله مختلفاً تماماً، وقد قدم تضحية فريدة في الانتصار لمطالب أهله في الحرية والعدالة والعيش الكريم، وكان رجلاً مقبولاً من العرب والكرد وقد وقف ببسالة مع شهداء القضية الكردية ودافع بشجاعة عن حقوقهم ومطالبهم، ودفع حياته ثمناً لرسالته.

إنني مدين للشيخ معشوق الخزنوي ونضاله الكبير وإخلاصه لقضيته، ولم أنسى ما حييت تلك الليالي الجميلة التي جمعتنا فيها غوطة الشام وربوتها ومجالس فقهائها في مركز الدراسات مع معشوق وهو صوت صارخ في البرية لا يكف عن التبشير بالكردي القادم، الذي سينهض رفيداً وعزيزاً يشارك في البناء الحضاري لهذا الشرق المعذب.

السؤال الخامس:

تبنيتم مشروعاً فكرياً عن التجديد الديني وخطاب التنوير، حبذا أن توضح جوانب من المشروع في نقاط رئيسية؟

هي حصيلة دراسات عميقة في واقع الأمة الإسلامية وسبل تطورها والتحديات التي تمنعنا من التقدم.

بكل صراحة فأنا لا أقدم مشروعاً نهضوياً، ولكنني أدافع عن المشاريع النهضوية وأرفع من طريقها العقبات والسدود، خاصة تلك التي تكتسب صفة مقدسة وتمنع الناس من التفكير والحب والجمال، وتكرس المسلم كائناً معادياً للحياة مكفراً للأديان، منفصلاً عن الواقع.

وقد لخصت هذه التحديات في سبعة مطالب أفردت لها كتاب: نور يهدي لا قيد يأسر:

المحور الأول: الغلو في اتباع النص الديني

قصدت في هذا المحور تصحيح العلاقة بالنص الديني عموماً، وتجاوز أشكال الغلو في اتباع النص الديني، ورفض ما مارسته الأمم الأولى من عبادة النص، والتحول من نص معبود إلى نص مشهود، ومن نص يتسامى على العقل إلى نص يستضيء بالعقل ويغنيه ويثريه، ومن نص مغلق إلى نص مفتوح، ومن نص مكتمل إلى نص يكتمل، ومن نص مستعل مفارق إلى نص يعيش مع الناس يتفاعل بحياتهم ويستجيب لمطالبهم، ومن نص قانوني جاف حاسم إلى نص تربوي وأدبي يحتمل قراءات كثيرة ومتعددة.

المحور الثاني: تحديد المقاصد العليا للقرآن

هي القيم التي تؤمن بها جميع الأمم، ولا شك أن تجلية هذه المقاصد سيمنحنا القدرة على اعتبار هذه المقاصد العليا بمثابة منابع لإنتاج التشريعات المستمرة في مختلف الظروف والأحوال والبلدان والأزمان، وهذا بالضبط ما تتعامل به الدولة الحديثة مع المبادئ العليا التي تسمى عادة المبادئ فوق الدستورية

المحور الثالث: صالح لكل زمان ومكان

لقد التزمت موقفي أن القرآن محكوم بالزمان والمكان، وأن تعميم ظاهر اللفظ على الأزمنة والأمكنة جميعاً لا يستقيم تنزيلاً ولا تأويلاً.

وهذه العبارة يمكن أن تكون مقبولة فقط حين نقدح زناد العقل ونمنحه القدرة على التشريع ولو خالف النص، وذلك بهدف تطوير الإسلام باستمرار

المحور الرابع: النبي الديمقراطي

النبي لم يكن قائدا لاهوتياً غيبياً بل كان رجل شورى ومراراً غير الشريعة من أجل مطالب الجمهور حين تكون محقة، لقد بسطت القول

بإسـهاب فـي كتابـي النبـي الديمقراطـي.

المحور الخامس: جهود الفقهاء في تقديم العقل واحترام النقل

لقـد أكـدت إن هنـاك نصوصـاً كثيـرة صحيحـة فـي القـرآن والسـنة، ولكـن ليـس عليهـا العمـل، وبينـت منهـج الإمـام مالـك الـذي يعتبـر أصـلاً فـي تقديـم المصلحـة علـى ظاهـر النـص.

المحور السادس: التطوير فيما سكت فيه النص

يقولـون إن أحـكام الدنيـا والآخـرة منصـوص عليهـا، إن هـذا التصـور ليـس نقطـة قـوة فـي الإسـلام بـل نقطـة ضعـف وقمـع، وأن الحقيقـة ان الشـرع سـكت عـن أشـياء وان حجـم المسـكوت عنـه أكبـر بكثيـر ممـا نتصـور وهـو أفـق للاجتهـاد المحـض بـدون أيـة قيـود إلا مقاصـد الشـريعة السـمحاء.

المحور السابع: اكتمال الإسلام وتطويره

يقولـون إن الشـريعة قـد اكتملـت فـي عصـر النبـوة، وأنـه لـم يعـد أمـام الأمـة إلا التقليـد والاتبـاع، وهـذا فهـم صبيانـي، والحقيقـة ان الاكتمـال ليـس مجـداً لأي فكـر حـي، والاكتمـال أخـو النقـص والتخلـف بـل المطلـوب التفاعـل والتطـور والتوثـب، وهـو مـا قدمتـه القـراءة الإسـلامية خـلال النجاحـات الحضاريـة التـي قدمهـا المسـلمون.

إن الوقـوف عنـد قاعـدة كل ابـداع ضلالـة وكل ضلالـة فـي النـار هـو خنـق للعقـل والإبـداع والتطـور، لقـد طالبـت بمراجعـة عميقـة لهـذه الفكـرة وأن الإسـلام يحتـاج أن يتطـور كل يـوم وإلا فإننـا نحنطـه ونرسـله تلقائيـاً إلـى متحـف التاريـخ.

السؤال السادس:

الإخاء أو الأخوة، كلمة تتردد كثيراً عند جموع من الكورد والترك والفرس والعرب. ماذا تعني ترجمة هذه المقولة من وجهة نظركم؟

العرب والكرد عاشوا معاً، وكذلك سيبقون إلى آخر الدهر، يأخذون ويعطون، ويؤثرون ويتأثرون، ولكن ذلك يفرض حتماً الاعتراف بالحقوق الكاملة للعرب والكرد، ولا يمكن تغول جانب على جانب بل على الجميع أن يعيشوا ويعملوا أخواناً متحابين.

لقد تعودنا على أجوبة بعثية عتيقة فيما يخص بالعلاقة بين الكرد والعرب، حيث مضى البعث على اعتبار أن من يتكلم العربية عربي ، وكنا نظن أن هذا كاف لإنهاء الخصام، ولكن الحقيقة أظهرت أن مطالب الكرد المشروعة لا يمكن تجاوزها بالمجاملات الفارغة، بل لا بد من الاعتراف بالهويات وحمايتها، إن سياسة طمس الهويات التي مارسها البعض زمناً طويلاً جاءت بنتائج عكسية تماما، وسمحت لشيطنة الآخر أن تذهب إلى أبعد مدى، وفي حين لم يتوقفوا أبداً عن التغني بمجد العرب فإنهم طمسوا كل مجد أمة أخرى، ومنعوا التغني بأي مجد آخر، مما أنشأ ثقافة غامضة مريبة ممنوعة تجاه الآخرين وهو ما سيؤدي بالطبع إلى ظنون الكراهية السوداء.

السؤال السابع:

وبالتالي كيف يمكن أن يكون هنالك إخاء عربي ـ كردي ولا يتم الاعتراف بأبسط حقوق الشعب الكوردي كمكون اصيل في سوريا والمنطقة؟

لقد وضعنا خطة في مركز الإخاء الإنساني الذي أقوم بإدارته، باتجاه طرح مبادرة الفخر بشعوب المنطقة وإدخال الجوانب المشرقة من تاريخها في مناهج التدريس

يجب أن يعرف السوري أياً كان معلومات بيضاء وحيادية وكافية عن العرب والكرد والسريان والشركس، وعن الإسلام والمسيحية واليهودية والزرادشتية واليزيدية، والهرب من هذه المصارحات لن يحل المشكلة بل سيضع الطرف الآخر في دائرة الغموض والريبة ثم التآمر.

السؤال الثامن:

قمتم في الآونة الأخيرة بزيارة إقليم كوردستان العراق وشاركتم بمؤتمر، السؤال الذي يتبادر للذهن، ما الانطباع الرئيسي الذي تركته هذه الزيارة لديكم. وماذا تود قوله بصدد تجربة إقليم كوردستان العراق؟

تلقيت أول دعوة لزيارة كردستان من مام جلال رحمه الله عام ٢٠١١ وكنا نخطط لزيارة حاشدة للعراق بباصين اثنين فيهما مائة شخصية سورية برلمانية وأكاديمية وشعبية، ولكن أحداث الثورة السورية لم تسمح بإتمام المشروع، وفي سنوات لاحقة خسرنا هذا الرمز الوطني الكبير.

هذا العام تلقيت دعوة كريمة من مركز مصطفى ملا رسول الثقافي في السليمانية لإحياء ذكرى مولانا خالد النقشبندي الفقيه العرفاني الكردي، وقد لبيت الدعوة بحبور، وكان لقاءاً فريداً بالطبع.

مولانا خالد النقشبندي هو موضوع المؤتمر هذه المرة، وهو ليس مناضلاً سياسياً ولا هو ثائر صاخب.. هو باختصار رجل روحاني عاش قبل مائتي عام وأسس في كردستان مدرسة للمحبة واتبعه الملايين وفق طريقته النقشبندية.

تستقبلك على باب المؤتمر أجمل صبايا كردستان بلباس النوروز المزركشة، وعلى ثيابهن صورة مولانا خالد، في إشارة واضحة أن الروحانيات النقشبندية تمنح الجميع نفحاتها ولا تنحصر بحلقة الذاكرين

دون سـواهم.

أمـا تنظيـم المؤتمـر والإعـداد لـه كمؤتمـر دولـي كبيـر تحـدث فيـه ثلاثـون متخصصـاً عربيـاً وفارسـياً وكرديـاً وأوروبيـاً فهـو جهـد قـام بـه مركـز مصطفى رسـول الثقافـي، ينفـق عليـه رجـل أعمـال هائـل هـو فـاروق مصطفـى رسـول، الـذي قـدم صـورة رائعـة لإدارة المـال فـي المعرفـة.

المؤتمـر ليـس لدراويـش الطريقـة، مـع الاحتـرام لدورهـم الروحانـي، ولكنـه لأكبـر الباحثيـن المتخصصيـن فـي التـراث الكـردي والرحيـق العرفانـي.

كانـت رسـالتي فـي المؤتمـر هـي الإسـهام فـي صناعـة المثـل الأعلـى للحـب والحكمـة، فالشـعوب تحتـاج لرمـوز ملهمـة، وإذا كان التطـرف قـد صنـع رموزه مـن فقهـاء الإسـلام ومشـاهيره، فـإن الرحمـة مطالبـة بـأن تصنـع رمـوز الحكمـة والحب..

فـي تاريخنـا آلاف الفقهـاء، ولكـن لـكل أمـة إمـام نجـح فـي صناعـة بسـتان مـن الحـب والرحمـة، وأنـا أقرؤهـم علـى الشـكل التالـي:

أمير المحبة عند العرب: الشيخ محي الدين ابن عربي

وأمير المحبة عند الترك: مولانا جلال الدين الرومي

وأمير المحبة عند الفرس: مولانا حافظ الشيرازي

وأمير المحبة عند الكرد: مولانا خالد النقشبندي

إنهـا ليسـت عـودة إلـى حضـن الكهنـوت كمـا يصورهـا بعضهـم... بـل هـي انتصـار لتيـار المحبـة والإشـراق... التيـار الـذي يعبـر عـن نفسـه كل لحظـة بقولـه: ولـن تبلـغ مـن الديـن شـيئا حتـى توقـر جميـع الخلائـق....

الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله.

السؤال التاسع:

هل لديكم مشروع كتاب، أو بحث يتعلق بمظلومية الكورد وقضيتهم، تعبرون فيها عن تفاصيل رؤيتكم حول الكورد وكوردستان؟

لقد كتبت في ذلك أكثر من عشر مقالات، ومنها مقال بعنوان شمس كردستان وقد ترجم للكردية والتركية والإنكليزية وحقق انتشاراً واسعا، وقد قمت بتطوير هذه المقالات وأعددت دراسة جديدة بعنوان كردستان: الحضارة الواثبة وأنتظر الناشر المناسب.

السؤال العاشر:

إضافة للشأن الديني، خضتم الشأن العام في سوريا وكنتم عضوا في (مجلس الشعب)، ما هي أبرز النقاط التي تقيمون عبرها هذه التجربة السياسية؟

لقد قيمت تجربتي في كتاب منشور على النت بعنوان ١٠٠٠ يوم في مجلس الشعب، وقد شرحت بعض ما قمنا به في المجلس ، والآمال والخيبات، لقد تعاملنا مع الواقع باحترام وإخلاص، وحاولنا، ولكن من الواجب القول إن البرلمان السوري لا زال بعيداً عن الأداء الديمقراطي المعروف في الأمم المتحضرة، وهو نفسه لا يعبر عن نفسه بأنه برلمان أو مجلس نواب بل مجلس شعب، ومع أن الدور المتاح له في الدستور كبير، وهو كذلك في الشأن الاجتماعي والزراعي والعقاري والاقتصادي والثقافي، ولكنه في الواقع في الشأن السياسية والعسكري والأمني وحقوق الإنسان ما زال دون الطموح، ولا يزال رهينة في قبضة الأجهزة الأمنية والبعثية المتغولة.

لقد مارسنا الحرية الممكنة، ورفعنا الصوت إلى الحد الذي خسرنا فيه ما نملكه من بيت ووطن، ووجدنا أنفسنا مع لنازحين ولا بأس، فهي كلمة الحق التي يعطيها المرء ابتغاء وجه الله، على أنني لم أكن بطلاً، ولم أقف موقف سعيد بن جبير من سيف الحجاج، بل ارتكبت المصانعة والمداراة والحكمة، وأوصلت رسالتي بدقة، ولعل الآتين يكونون أكثر شجاعة منا، وأكثر تأثيراً .

السؤال الحادي عشر:

لنتحدث قليلاً عن مستقبل سوريا: ما هي رؤيتكم فيما جرى ويجري؟ وما الحلول التي تقترحونها؟ وبالتالي أي مستقبل ينتظرنا جميعاً في سوريا المستقبل؟

سوريا الممكنة هي دولة لامركزية، يجب الاعتراف أننا نحتاج أن نعيد احترام الهوية المحلية، لقد مارسنا تطنيش الهويات وطمسها وكانت النتيجة هذه الحروب، فهل نحتاج مزيداً من الحروب لندرك أن فرض رؤيتنا على الآخرين دينياً أو قومياً أو طبقياً هي عمل عدواني سيكرس مزيداً من القطيعة والكراهية؟

نحتاج أن نعلن بوضوح: دين بين الأديان وليس ديناً فوق الأديان، وأمة بين الأمم وليس أمة فوق الأمم، ونبي بين الأنبياء وليس نبياً فوق الأنبياء، وأن لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله.

يجب أن نتحول من عصر التبشير الديني إلى عصر التعارف والتكامل والتراحم بعيداً عن اصطفافات الكهنة ومشاريعهم المظلمة.

إن علينا القبول بقدر كبير من الاختلاف والتنوع حتى ننجح في العيش بسلام.

دراسات

١-إسكان العشائر الكوردية والعربية في الجزيرة السورية من العهد العثماني إلى نهاية القرن العشرين.

٢- الآلهة الكبار في الشرق القديم.

إسكان العشائر الكوردية والعربية في الجزيرة السورية من العهد العثماني إلى نهاية القرن العشرين

كاتب وفنان تشكيلي

علي شيخو برازي

اعتمدت الدولة العثمانية بشكل كبير على العشائر، في الكثير من أمورها، كحماية حدودها وحماية طرق التجارة واستقرار العشائر، واستصلاح الأراضي في البوادي، والتخفيف من سلطة هذه القبائل في

موطنها الأساسي، وخاصة العشائر الكوردية، التي كانت تشكل جزءا كبيرا من خارطة الدولة العثمانية، ولهذا أوجدت نظام إسكان العشائر. وفي أثناء الحكم العربي في سوريا صدرت تشريعات تخص إسكان العشائر العربية البدوية والنصف مستقرة، في عدة محافظات وخاصة محافظة الجزيرة وبهدف قومي.

عهد الدولة العثمانية

عملت الدولة العثمانية على تشتيت القبائل الكوردية المتمرّدة، إلى ديار بعيدة عن مسكنها الأساسي فترة من الزمن، وخاصة القبائل الكوردية الكبيرة مثل: ملّلان – بلباس – ده زيي – زيباري - بابان – جانبولاد (١) وغيرها من القبائل الكوردية ذات القوة والنفوذ، حيث كانت الدولة العثمانية تهدف من وراء هذا النظام، السيطرة على القبائل التي تثير لها القلاقل في مناطق سكنها التاريخي، وترفض الانقياد إلى أوامر الدولة، وخاصة في مجال التجنيد ودفع الضرائب، وكانت قبيلة الملّلان أكثر تنظيما وأشد بأساً، بين تلك القبائل التي قامت الدولة العثمانية بترحيل قسم منها إلى الرقة.

وكانت هناك أمور إيجابية في نظام إسكان العشائر، والتي ساعدت على استقرار بعض العشائر وتحضرها وهي: توزيع الأراضي على العشائر وحثهم على زراعتها، وقد قامت لهذا الغرض على بناء القلاع العسكرية والمخافر، في المناطق الصحراوية من الجزيرة الفراتية وغيرها، وكان هذا النموذج موجودا في الرقة منذ القرن السادس عشر، يقول الطبيب الهولندي ليونهارت راوولف: (في مدينة الرقة قلعة يقيم فيها آمر لواء تابع للسلطان التركي وتحت إمرته ١٢٠٠من الجنود للمحافظة عليها.) (٢) وهذا ما دفع قسم من هذه القبائل على الاستقرار وبناء القرى حول

تلك القلاع والمخافر، وإحياء المدن القديمة، وقد تأسست على هذا الأساس مجمعات بشرية ومئات من القرى، ومنها إحياء مدينة الرقة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

وقد سنّت الدولة العثمانية قوانين جديدة لهذا الغرض، وأوجدت وظائف جديدة كوظيفة رئيس الإسكان (إسكان باشي) وأوكلت هذه الوظيفة لزعماء القبائل الذين لهم خبرة في شؤون العشائر وأصولها وفرقها، ويقوم الإسكان باشي على ضبط هذه العشائر وعدم إثارتها القلاقل ضد الدولة، ويكون حلقة وصل بينها وبين الدولة، بالإضافة إلى جمع الضرائب وإرسالها إلى الحكومة، ومناصب أخرى لهذا الشأن: (كمنصب كاتب الإسكان، وأمراء الإسكان، وكتخدا الإسكان وأمراء الصحراء، وكلها مجتمعة تنظم عملية إدارة الإسكان.) (٣)

موضوع إسكان العشائر الكوردية في نواحي الرقة، وخاصة قبيلة المللية التي تمردت على الدولة العثمانية في ولاية ديار بكر، وبدأت سياسة الإسكان هذه بشكل فعلي بدا من إصدار الدولة العثمانية أمرا سلطانيا عام ١٧١١ م، بحق قبيلة الملّان الكوردية الأمر الذي: (يقضي بنقلها من ديار بكر وإسكانها في ولاية الرقة، عقابا لها على تصرفاتها وسلوكها السيئ.) (٤) لكن المللیين لم يمكثوا في الرقة طويلا، ورجعوا إلى ديارهم رغم عدة محاولات من الحكومة العثمانية، حتى تغيرت الأوضاع بعد عدة حملات على المللیين، وأولها حملة عام ١٧٧٥م، بسبب اعتداءات القبائل المللية على القرى والأرياف في الرقة (حيث كلف والي الرقة محمد باشا، وبكوات ألوية الألاي بحملات عسكرية تأديبية كبيرة، للحد من فساد وتجاوزات هذه العشيرة على المناطق الآمنة، وإدخالها في طاعة السلطات الحكومية، إلا أن العشيرة لما علمت بشأن الحملة العسكرية، توارت من

أمامها نحو الجبال.) (٥) وقد بقيت فرقة وحيدة من قبيلة ملّلان الكوردية في الرقة، واستقرت بعد أن أصبح تمر باشا واليا على الرقة عام ١٨٠٣ م. وهم معروفين حاليا في مدينة الرقة، وأهم عائلاتها: الجرف الطه، الجدوع، والحني.

بعد هذه المرحلة وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حاولت الدولة العثمانية تطبيق نظام الإسكان على القبائل البدوية العربية أيضا، والعنزة والشمر بشكل خاص، التي كانت تثير المشاكل للدولة العثمانية في بوادي العراق وبوادي سوريا، في نواحي حلب وحماه، وتغير على المدن أيضا، مما دفع الحكومة بعد أن أصبحت الدير(دير الزور) باشاوية تابعة لولاية حلب، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث: (سار أرسلان باشا خلال فترة حكمه في دير الزور بفرق كبيرة من المشاة، ضد قسم من السبعة الذين وجدهم يخيمون قرب الفرات، فطوقهم وأمرهم بأوامر السلطان أن يتخلوا عن حياة البداوة، ويصبحوا مثالا مخلصا للوجود والاستقرار في الأرض من أجل الزراعة. إلا أن البدو لم يجدوا موقفا يبعث على القرف، ويعتبر بمثابة إهانة لهم مثلما وجدوه في هذا الاقتراح، فاحتجوا في البداية إلا أنهم وجدوا جمالهم يهددها الفناء. وباعتبار أنه لا خيار لهم وافقوا تحت حراب الجنود. فعمروا سلسلة من البيوت من البيوت الطينية في مناطق مختلفة من الوادي. وفي هذه البيوت كانوا في حالة تذمر لا توصف، لكنهم تظاهروا بالعيش فيها طالما وجدوا الجنود بينهم للحراسة. وما أن مضتّ على هذا الوضع ثلاثة أشهر حتى وجد الباشا أنه يحتاج لرجاله في مكان آخر فسحبهم دون تأخير، عندها عاد البدو إلى البادية، وبقيت القرى الطينية على الوادي بدون سقوف.) (٦)

في منطقة أخرى من الجزيرة الفراتية، (التقى سايكس مع شيخ خلف

شيخ قبيلة الفالحين (هكذا ورد الاسم من قبل المؤلف tribe Fellahin)) الذي كان يخضع لسلطة إبراهيم باشا المللي الكردي. ومن خلال حديث سايكس مع الشيخ خلف يبدو جليا ما جلبته غزوات القبائل من دمار ومآسي لأبناء الجزيرة، وكنتيجة لتلك الغزوات فأن أبناء المنطقة لم يكن بإمكانهم ممارسة الزراعة والاستقرار في القرى، بل أن قبيلة الكيكان، وكما سنرى أدناه قد اضطرت إلى ترك قراها والتوجه نحو الشمال نتيجة لغزوات الشمر، وكانت القبائل الأقل قوة وعددا مضطرة إلى ممارسة البداوة وتقديم الطاعة للقبائل القوية، التي كانت تفرض سطوتها على المنطقة وتغزو القبائل الصغيرة وتنهب مواشيها وممتلكاتها، وأورد هنا ما قاله الشيخ خلف لسايكس: على ماذا يتقاتلون؟ على عدة جمال، إن ضفة البليخ (*) إذا تم زراعتها ستكفي مليون شخص ليعيشوا برفاه. (٧) ورغم فشل هذه التجارب خلال مدة زمنية طويلة، إلا أنها نجحت في النهاية في توطين العديد من القبائل العربية في بوادي الرقة وغيرها من الجزيرة الفراتية، مثل: العنزة في محافظة الرقة، ناحية عين عيسى، والمللان في محافظة الحسكة، منطقة سري كاني (رأس العين) والشمر في محافظة الحسكة، منطقتي القامشلي وديريك، بالإضافة إلى إسكان القبائل التي كانت تعيش على ضفتي وادي الفرات.

عهد الحكومات العربية في سوريا

في عهد ما يسمى بالحكومة الوطنية في سوريا، كان هناك حوالي ستين عشيرة، بدوية رحّالة، ونصف مستقرة، وكان تعدادها أكثر من ٣٠٠٠٠٠ ألف نسمة، منها ثماني قبائل بدوية: (الرولة – الحسنة – والسبعة بطينات – السبعة عبده – الفدعان ولد – الفدعان خرصة وولد سليمان – شمس الزور - وشمر، ولا يتجاوز عدد نفوس هذه العشائر ستين ألف نسمة. أي بنسبة

١,٥ ٪ من سكان سوريا, وهي لا تزال إلى اليوم تنتقل في مختلف أرجاء البادية، وقد ترحل إلى البلاد المجاورة كالأردن والعراق) (٨) وكانت سوريا تقسم إلى قسمين إلى منطقتين، بادية ومعمورة، وكان يقصد بالبادية: بادية الجزيرة الفراتية وبادية الشام، وفي المصطلح الشعبي يقال: (الجزيرة والشامية)، ومساحتها تبلغ حوالي ٩٠ ألف كم مربع، أي نصف مساحة سوريا، وكانت الجزيرة السورية المساحة المناسبة للاستقرار والتحضر، لخصوبة تربتها وغناها بالموارد المائية، كونها تضم رافدي نهر الفرات، البليخ والخابور، وهذه المنطقة كان فيها عشائر نصف مستقرة، إذ أن أمكانية الاستقرار كانت كبيرة، وفق خطة وزارة الداخلية السورية. أما القسم الثاني الذي كان سكانه ينحصر على البدو، فكان خارج إطار قوانين الدولة، إلا إذا دخلت هذه القبائل ضمن المنطقة المعمورة، وقد فشلت كل محاولات سلطات الانتداب الفرنسي في سوريا، في تسجيل أبناء القبائل البدوية في سجلات الدولة، أما في عهد (الحكومة الوطنية) فتم تسجيل قسم من البدو في السجلات الرسمية، وصدر المرسوم التشريعي رقم ١٢٤ بتاريخ ١٩٥٣/٥/٢١.(المتضمن نظام العشائر إلى إنهاء حالة العشائر، ونقل هذه الفئة من المواطنين من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار، ولما كان ذلك الهدف لا يتحقق إلا بتهيئة الوسائل والأسباب اللازمة، ومعالجة شؤون العشائر معالجة عملية واقعية، تقربها تدريجيا في الحياة الحضرية، من حيث استعمال الأراضي الزراعية، فقد أصدرت وزارة الداخلية البلاغ رقم د / ١٣٤٥ / م ت، المؤرخ ٢٨م١٠/٩٥٢ طلب فيه إلى المحافظين المختصين تأليف لجان خاصة تتولى دراسة العشائر في شتى شؤونها، على أن تعني بوجه خاص أمور منها:

١ – كيفية تأمين الأراضي الزراعية لكافة أفراد العشائر.

٢ – كيفية تأمين المياه اللازمة للري والشرب.

٣ – كيفية تدارك رؤوس الأموال اللازمة لتحقيق هذه المشاريع، على أن تضم هذه اللجان الخاصة ممثلين عن دوائر الإدارة والعشائر والزراعة والري وأملاك الدولة. وبالرغم من عدم وجود أي مشروع خاص يتعلق بتوطين العشائر في العمل الزراعي في السنوات الخمس الماضية، فان مديرية العشائر العامة قد استطاعت خلال تلك المدة المذكورة أن تقوم بتوطين ما لا يقل عن ٣٠ ٪ من عشائر محافظة الجزيرة كعشائر: شمر، وطي، والجبور، والشرابيين، بالإضافة إلى الذين سبق توطينهم من قبل، والذين يبلغون ٢٠ ٪ من مجموع أفراد عشائر المحافظة. وقد استهدفت أعمال التوطين مناطق متعدد في الجزيرة، وأهمها منطقة نهر الرد الواقع شرقي الحسكة مركز المحافظة.) (٩)

وقد تطورت هذه الفكرة وأخذت منحى آخر في ظل التيار القومي العروبي، عهد حزب البعث العربي الاشتراكي، وآخر مشروع لتوطين العشائر العربية، في محافظة الجزيرة في القرن العشرين، بدأ بمرحلتين (المرحلة الأولى التجريبية: ١٩٥٩-١٩٦٣ وهي عشر قرى قديمة، جلب إليها مستوطنون من محافظات: درعا، السويداء، حماه، ادلب، والقرى هي): العريشة، المناجير، الأهراس، العامر، الأربعين، ليلان، أم الخير (في حوض الخابور. ومستوطنة (قسرك) في منطقة درباسية، وأخيرا مستوطنتي الزهرية والأحمدية على نهر دجلة). (١٠)

والمرحلة الثانية طبقت بدأ من عام ١٩٧٣ بعد بناء سد الفرات. لكن هذا المشروع لم يكن بدافع استقرار العشائر، إنما للتغيير الديموغرافي، وللتضييق على الكورد في الجزيرة، حيث تم الاستيلاء على أراضي الكورد، وقاموا بتوزيعها على (العرب المغمورين) أغلبهم من عشيرة

الولدة، الذين غمرت أراضيهم نهر الفرات إثر بناء سد الفرات في منطقة قلعة جعبر شمال مدينة الطبقة، وعرف بمشروع: (الحزام العربي). والحزام العربي هو مصطلح يُطلَق على عملية استيلاء الحكومة السورية على أراضٍي زراعية تعود لفلاحين وآغاوات أكراد في محافظة الحسكة، ومنحها لفلاحين عرب قدموا من محافظتي الرقة وحلب وتوطينهم في محافظة الحسكة، على طول الشريط الحدودي مع تركيا.

بعد تولى حزب البعث السلطة في عام ١٩٦٣ في سورية، طرح خطة تغيير التركيبة السكانية في الحسكة. حيث عينت القيادة القطرية محمد طلب هلال في عام ١٩٦٥ محافظاً للحسكة، وخلال فترته عملت القيادة القطرية بدءاً من عام ١٩٦٦ على دراسة فكرة الحزام العربي، أثناء تنفيذ مشروع سد الفرات.

وعمل على هذا المشروع حزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٦٦، خلال المؤتمر القطري الثالث للحزب، وقد نصت الفقرة الخامسة من توصيات المؤتمر على (إعادة النظر في ملكية الأراضي الواقعة على الحدود السورية – التركية، بامتداد ٣٥٠ كم وبعمق ١٠-١٥ كم، وهو شريط كان يتميز بوجود كتلة بشرية كردية فيه، وخصوبة في الأراضي الزراعية. وتُعرف الأرض الزراعية في تلك المنطقة محلياً بـ (أراضي خط العشرة). واعتبارها ملكاً للدولة، وتطبق فيها أنظمة الاستثمار الملائمة بما يحقق أمن الدولة. وقد وصل الحزام إلى أقصى حدوده، من الحدود العراقية في الشرق إلى رأس العين في الغرب.

تشير دراسة أعدها مكتب الفلاحين القطري التابع للحزب في أواخر عام ١٩٦٦، إلى أن مساحة الحزام العربي بلغت ٣,٠٠١،٩١١ دونم، وبعد انقلاب آخر داخل حزب البعث، نجح حافظ الأسد في أن يصبح رئيسا

لسوريا في عام ١٩٧٠، وبدأ في تنفيذ الخطة في عام ١٩٧٣. وتم تغيير اسم المشروع رسميا إلى (خطة إنشاء مزارع نموذجية تابعة للدولة في منطقة الجزيرة).

بعد هذه التوصية، تمكنت الحكومة السورية من الاستيلاء على مساحة زراعية قدرت بـ ٥٢٥٠ كيلومتر مربع، فصارت جزءاً من أملاك الدولة. ومنح النظام السوري «المغمورين» مساحات زراعية اعتماداً على النسبة المطرية، إذ أعطى مساحات بين ١٥٠ دونماً بدءاً من مدينة ديريك (المالكية) الحدودية مع إقليم كردستان العراق والمنطقة الكردية في تركيا، بينما في مدينة سري كانيه (رأس العين) الحدودية مع تركيا، أعطى كل أسرة من (أسر الغمر) ٣٠٠ دونماً.

وخلال شهر حزيران/ يونيو من عام ١٩٧٤، كانت الحكومة السورية قد بدأت في محافظة الرقة بإعداد قوائم سجلت فيها أسماء الفلاحين العرب الذين سيتم نقلهم من منطقة الطبقة إلى محافظة الحسكة، وبدأ تنفيذ أمر النقل، بموجب قرار صادر عن القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي، رقم ٥٢١.

وكلفت الحكومة حينذاك كل من الأمين القطري المساعد لحزب البعث، محمد جابر بجبوج وعضو القيادة القطرية للحزب نفسه عبد الله الأحمد بمتابعة عمليات الاستيطان، وتأمين مساكن للأسر التي سيتم نقلها إلى محافظة الحسكة.

في خريف عام ١٩٧٤، قامت الحكومة السورية بإنشاء مخيم مؤقت قرب مطار القامشلي الدولي، ونقلت إليه الأسر العربية القادمة من محافظة الرقة، وشددت الحراسة على مكان تواجدها، تحسباً لهجمات محتملة من أصحاب الأراضي الزراعية، ثم قامت ببناء القرى لنقلهم، وانتهت عمليات

النقل والتوطين في ربيع عام ١٩٧٥.

بلغ مجموع المساحات الزراعية الممنوحة للأسر القادمة من محافظة الرقة، أكثر من ثلاثة ملايين دونم في محافظة الحسكة، وكانت كلها تملكها عائلات كردية من آغوات وفلاحين.

وقامت الحكومة السورية حينذاك بالتكفل بالتكاليف المالية لبناء القرى ونقل الأسر العربية من محافظة الرقة إلى محافظة الحسكة، وترتيب عملية إعادة توطين القادمين على الشريط الحدودي. وبلغ عدد الأسر العربية التي تم نقلها من محافظة الرقة إلى منطقة الحزام العربي حتى نهايته، أكثر من ٤٠٠٠ عائلة عربية، انتشرت في قرى عدة أنشئت لهم، بمجموع بشري وصل إلى أربعين ألفاً، حينذاك، فشكلوا نسبة بلغت أكثر من ٦٪ من مجموع سكان محافظة الحسكة.

بلغ حجم القرى الكردية المتضررة من هذا المشروع ٣٣٥ قرية، وبعضها أزيل وضُمّ إلى القرى المؤسسة حديثاً، وطالت الأضرار اللاحقة بالسكان الأكراد في محافظة الحسكة أكثر من ١٥٠ ألف نسمة.

وبلغ عدد القرى التي تم تأسيسها في الشريط الحدودي ضمن مشروع الحزام العربي (٣٩) قرية، قسمت حسب المناطق على النحو التالي:

أولاً: منطقة القامشلي، وهي العاصمة السياسية للكورد في سوريا، وكبرى المدن الكوردية في الجزيرة الفراتية، وتم بناء ١٢ قرية فيها، بدءاً من الشرق عند بلدة تربه سبيه (قبور بيض)، وصولاً إلى قرية غزالة على طريق عامودا، والقرى الحديثة هي:

المناذرة، الحرمون، القحطانية، حلوة، التنورية، أم الفرسان، هيمو، الثورة، الحاتمية، أم الربيع، بهيرة، الجابرية.

ثانياً: منطقة ديريك – المالكية ١٢ قرية من الشرق، أي من ضفاف نهر دجلة نحو الغرب وهي:

عين الخضراء، تل الصدق، الصحية، المصطفاوية، تل أعور، تل علو١، تل علو ٢، الحمراء، شبك، توكل، معشوق، الجوادية.

ثالثاً: منطقة سري كانيه، وهي المنطقة التي تم بناء قرى أكثف فيها، إذ أنشئت ١٥ قرية حديثة، وهي:

تل تشرين، القنيطرة، القيروان، ظهر العر ب، الأسدية، برقة، تل الحضارة، تل الأرقم، المتنبي، أم عظام، المثنى، العنادية، الزاوية، الدهماء، هنادي. (١١)

وبعد ذلك، تفرعت عشرات القرى من هذه القرى، وقام القادمون الجدد أنفسهم ببناء عدد كبير من القرى ضمن الأراضي الزراعية التي منحتها الدولة لهم، فتحولت كل قرية من القرى المذكورة على الأقل إلى ثلاث قرى.

أما في محافظة الرقة، مناطق سلوك ومنطقة تل أبيض وعين عيسى فتم الاستيلاء على (٣٣٣٣٣٢٢) مليونين ومائتي ألف دونم، كانت عائدة لحلف القبلي المللي، وزعامتها عائلة إبراهيم باشا، وقبائل كوردية أخرى شرق نهر الفرات. (٢١)

---

١ – أكراد تركيا، إبراهيم داقوق، ص ٥١ – ٦٩

٢ – رحلة الهولندي الدكتور ليونهارت راوولف، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى ٢٠٠٨، بيروت – لبنان، ص ١٤٣

٣ – نظام إسكان العشائر في الدولة العثمانية، د. علي حسين عبد الله

البسام، كلية الآداب – جامعة الملك فيصل، عشيرة الملّية نموذجا. ص ٢٧٧

٤ – نفس المصدر، ص ٢٧٨

٥ – نفس المصدر، ص ٢٨٠

٦ – قبائل بدو الفرات ١٨٧٨، الرحالة الليدي آن بلنت، دار الملاح، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى ١٩٩١، ص ٤١٧

* - نهر البليخ إحدى روافد نهر الفرات في محافظة الرقة.

٧ - مجلة الحوار، العدد ٧٦، ص ٧٥، ٢٠٢٠

٨ - البدو والعشائر في البلاد العربية، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، محاضرات ألقاها الدكتور عبد الجليل الطاهر، ١٩٥٤ م. ص ٧٣

٩ – نفس المصدر، ص ٩٣ – ٩٤

١٠ - الحزام العربي في الجزيرة السورية، د. زاد أحمد علي، مركز رووداو للدراسات حزيران ٢٠١٥. ص ٨

١١- لمزيد من التفاصيل راجع كتاب: الحزام العربي في الجزيرة السورية) مقدمة، تنفيذ، نتائج (برزان مجيدو) المهندس الزراعي عبد الصمد مجيد داوود (إصدارات حزب يكيتي الكردي في سورية، القامشلي، ٢٠٠٣.

١٢ - الحزام العربي في الجزيرة السورية. د. آزاد أحمد علي. مركز رووداو للدراسات حزيران ٢٠١٥، ص ١٠

الآلهة الكبار في الشرق القديم

محمد عبد الله العزو

محمد عبد الله العزو باحث في مجال الآثار وخاصة في منطقة الفرات. ولحبه للآثار بات معروفا بلقب أبو الآثار. من مواليد الرقة عام ١٩٥٠م، حاصل على درجة الماجستير عام ١٩٧٩م، فرع «الأثار الكلاسيكية وتاريخ الفنون الجميلة) من جامعة تشارلز الرابع في تشيكوسلوفاكيا. شغل مناصب عديدة في الجوانب الأكاديمية والبحثية في دول عديدة وفي سوريا.

في ستينيات القرن الماضي، كنا نسمع من جداتنا ونحن صغار كلمات لم نفهم لها معنى مثل: «دجن»، فمرة تقول «الجدة»: «الدجن» قليل، ومرة أخرى تقول يا بني ليس لدينا «دجن»، ولما دخلنا المدارس المتوسطة، صرنا نسمع كلاماً آخر يقول: إله تل «البيعة» هو الإله «دجن»، ومع ذلك نسمع فقط، لكن فيما بعد عرفنا من الجدات أنّ كلمة «دجن» تعني في لهجتنا «الرقية» المحلية الطعام، ولما أظهرت معاول المنقبين للنور الرقيم المسماري الشهير من تل «البيعة» بالقرب من «الرقة»، الذي يحمل اسمي «توتول» و»دجن»، وعرفنا حينها بعد الشرح من قبل المختصين، أنّ «دجن» هو إله الطعام والزرع عند سكان الشرق القديم، وقد امتدت منطقة عبادة هذا الإله، من «إيبلا» إلى «ماري»، و»ترقة»، و»توتول» وكلها ما عدا «ايبلا» تقع على «الفرات».

إنّ أقدم مراكز عبادة هذا الإله في الألف الثالث قبل الميلاد على «الفرات»، وتمتد إلى أجزاء واسعة من «سورية» و»فلسطين»، أقصى شمال «بلاد الرافدين». وقد كان إله «توتول» الذي هو «دجن» مشهوراً إلى درجة أنه كان يبجل في كل من «ايمار» على «الفرات» التي تبعد عن «الرقة» بحدود /١٠٠/ كم غرباً، وكذلك كان يبجل في «إيبلا» بصفته ملك «توتول». ووجدت عبادة هذا الإله في «يارموت»، و»هانا»، وقد سمي معبداه في «ترقة» على «الفرات»، «بيت راحة الموتى» و»بيت رعشة البرد». كان «دجن» كما أسلفنا سابقاً هو إله الطعام والغلال، ويلاحظ أنه يوضع في لائحة الآلهة السورية جنباً إلى جنب مع كبير الآلهة السومريين «أنليل»، وكان القدماء يطلقون على الآلهة الكبيرة الإله الحاكم، وبصفة «دجن» إله حاكم، كان يلقب بـ»ملك البلاد» و»سيد الآلهة»، أما زوجته فهي «شالاش» التي توازي الآلهة «ننليل» زوجة الإله «أنليل»، وما زال أهل «الرقة» يستخدمون اسم «شالاش»، الذي حوّر إلى «شلاش». أما

ابن «دجن»، فهو إله الطقس والأنواء «حدد»، والذي هو أيضاً ابن إله السماء، ويقول الباحث الأثري «فولكرت هاز»: «.. وفي إحدى المرات سميت ابنته عشتار»، الآثار السورية، ص /٣٤٦/، ط: دار «فورفرتس»، «فيينا»، النمسا /١٩٨٥/م. وبعد عام /١٥٠٠/ قبل الميلاد، وهي الفترة التي سيطر فيها «الحوريون» على السلطة في كل من بلاد الرافدين وشمال سورية، كان الإله «دجن» مساوياً لـ «كوموري» أو «كوماربي» إله الشعير «الحوري»، الذي يطلق عليه «أبي الآلهة». وأماكن عبادة هذا الإله كانت في «أوركيش» عاصمة الدولة الحورية في الألف الثالث قبل الميلاد، والتي يعتقد أنها مغيبة في تل «موزان» الواقع بين مدينة «القامشلي» وبلدة «عامودا»، وفي «توتول» تل «البيعة»، «الرقة» القديمة، وربما أيضاً كان هذا الإله يعبد أيضاً في مدينة «كومار»، التي اشتق اسم هذا الإله منها على الأرجح.

الإله «كوماربي» عند الشعوب القديمة خالق للكون، وهي تسمية، للخالق الواحد الأحد، مثل نظيره المتوسطي إله الشعير ما قبل الهليني «كرونوس»، الذي يتحدثون عنه بأنه قام بفصل السماء عن الأرض بعد أن كانتا ملتصقتين، ليخلق مجال الحياة، وعملية الخلق هذه تصفها الأسطورة «الحورية» عن «المملكة في السماء»، وهي المملكة الموجهة نحو جميع الآلهة، سواءً كانوا فوق الأرض أو تحتها.. نسر من الذهب واللازورد يرمز للإله ننجرسو أما إله النور والطقس «الأنواء»، الذي قلنا عنه أنه ابن الإله «دجن»، وهو «حدد»، المعدود فيما عدا ذلك ابن إله السماء. تتحدث «الميثولوجيا» العالمية بشكل عام، «الميثولوجيا» السورية بشكل خاص، على أنّ إلهة الأرض وإلهة الأم دائماً على الأرجح على صورة البشر، كان شريكها الذكر إله الخصب، والمطر، يتخذ صورة الثور الإلهي. ونجد منذ الألف الثامن قبل الميلاد في تل «المريبط» على «الفرات

الأوسط» بالقرب من «الرقة» جماجم في مقاعد طينية عثر عليها في البيوت السكنية. ونجد منذ الألف السابع قبل الميلاد في «شطل هيوك» في «الأناضول» في هضبة «قونيا» جماجم كتلك التي عثر عليها في «المريبط»، ومواقد مزينة بقرون حيوانية.. في الألف الثاني قبل الميلاد، كان «البعل» الكنعاني و»حدد» سورية وما بين النهرين و»تارو» آسيا الصغرى، الذي يشابه اسمه اسم «تاوروس» اليوناني أي الثور. وإلى عبادة الثور في تلك الفترة، هناك إشارات تاريخية تشير إلى أنه في أحد حملات الملك «حاتوشيللي الأول» على المدن السورية، أنه غنم من معبد «هخشا» في شمال سورية - يعتقد في «كركميش» على «الفرات»- ثوراً فضياً، وفي «زالبار» على «الفرات» الأعلى بقرة فضية. وهناك إلهتان هما «حبات» و»عشتار»، فالأولى هي إحدى الآلهات السوريات المقيمات في «إيبلا»، ويمكن ربطها بـ «حداة» السامية، وقد أصبحت بعد عام /١٥٠٠/ قبل الميلاد «سيدة أرض الأرز» في لبنان، وكذلك أصبحت إلهة مدينة «حلب»، وعبدت أيضاً في «إيمار» على «الفرات». أما عشتار فهي الإلهة الشهيرة، والتي حملت شهرة واسعة وفي فترة مبكرة في شمال سورية. وهناك الإلهة الأم «كَبابا» و»اشخارا»، فالأولى كان مركز عبادتها الرئيسي على «الفرات» وخاصة في «كركميش». وكان ظهورها في بداية الألف الثاني قبل الميلاد. أما «اشخارا»، فهي إلهة سورية قديمة، ورد ذكرها مع مجموعة الآلهة في «إيبلا»، وكانت طبيعتها مشابهة لـ «عشتار»، وكان رمزها في العصر البابلي القديم هو الأفعى، وبعد ذلك أصبح العقرب، وقد عُثر في منطقة «الرقة» في قرية «الغانم العلي» على أختام أسطوانية من الفترة البابلية القديمة تحمل رسوماً للعقرب المقدس، وهناك أشياء أخرى مقدسة ومختلفة.

××××

المراجع:

١ـ «الآثار السورية»، مجموعة من الباحثين، «فيينا» النمسا.

٢ـ «النـدوة الدوليـة لتاريـخ وآثـار الرقـة»، مجموعـة مـن الباحثيـن، «دمشـق»، /١٩٨١/.

٣ـ حضـارة الفـرات الأوسـط والبليـخ»، «محمـد العـزو»، دار «اليانبيـع»، «دمشـق» /٢٠٠٩/.

٤ـ «علم الآثار»، د. «عدنان البني»، «دمشق»، /١٩٧٦/.

٥ـ «البحـث الأثـري»، «منـى يوسـف نخلـة»، دار «بريـس جريـس»، «طرابلـس»، لبنـان، /٢٠٠٢/.

شهادات

رأي المناضل الشيوعي السوري
الراحل مراد يوسف (١٩٢٨-٢٠٠٨)
حول القضية الكردية

رأي المناضل الشيوعي السوري الراحل
مراد يوسف (١٩٢٨- ٢٠٠٨)
حول القضية الكردية *

هذه الشهادة مقتبسة من مذكرات وأوراق المناضل الشيوعي السوري الراحل مراد يوسف، الذي عُرِفَ لدى الوسط الشيوعي والعمالي والوطني في سوريا بجرأته وصراحته في مسيرته النضالية والحزبية.

الراحل مراد يوسف من مواليد عام ١٩٢٨ في القنيطرة التي كانت

مركز منطقة الجولان آنذاك؛ شركسيُّ الأصل، ويعتزُ بثقافته وأصوله. نشأ في أسرة كادحة وانتسب للحركة الشيوعية مبكراً. وبقي وفيّاً لقناعاته وقربه من الطبقات الشعبية والكادحة. ولعلّ من أبرز مراحل حياته الحزبية كان قيادته لفصيل شيوعيّ انشقّ عن الحزب الشيوعي الأم (بزعامة خالد بكداش) في الثمانينات عُرِف بعد ١٩٨٠ باسم «الحزب الشيوعي السوري - منظمات القاعدة» واختصاراً « منظمات القاعدة». وحينها بنى علاقات مع بعض أطراف الحركة السياسية الكردية في سوريا.

تقتبس « الحوار» هذه الشهادة لشخصية وطنية سورية لما وجدنا فيها من رأي جديّ ومتقدم عن القضية الكردية قياساً بالمواقف التي كانت يتبناها الحزب الشيوعي السوري الرسمي، وحتى عن بعض المواقف المعارضة للسلطة. وننتهز الفرصة لتذكير القرّاء بشخصية وطنيّة سورية ناضلت من أجل المساواة بين كل السوريين وحقوقهم المشروعة، والإقرار بخصوصية القومية الكردية ضمن الوطنية السورية، وكذلك خصوصية الكرد كشعب في المنطقة بشكل عام.

«الحوار»

=====

«اكتسبت مطالب الشعب الكردي تأييداً عالمياً واسعاً، لأنه شعب متميز يملك مقوماته في الأرض واللغة والتراث الثقافي، وهذه الحقيقة بحاجة إلى نضالات ومتابعة لدحض المواقف الشوفينية، التي تنفي وتُنكر وجود قضية قومية كردية وشعب كردي متمايز عن الشعوب الأخرى، التي يعيش معها في تركيا وإيران والعراق وسورية، وتعمل هذه الأوساط المعادية لحقوق الشعوب لصهر الشعب الكردي.

والقوى الثورية الوطنية كلها في هذه البلدان مطالبة بالاعتراف بالحقوق القومية للشعب الكردي، وبالنضال من أجل ممارسته لحقوقه المشروعة، ولا يبرر كون الشعب الكردي يعيش مع شعوب أخرى (تركية، أو عربية، أو فارسية...) إنكار الحقوق القومية لهذا الشعب، كما لا تبرر وحدة الدين، التي تجمعه مع هذه الشعوب، هذا الإنكار».

ويتحدّث مراد عن الحركة القومية الكردية بصفتها حركة تاريخية موضوعية، لأنها حركة شعب عريق مناضل في سبيل حقوقه العادلة والمشروعة، فيقول:

« ظهرت الحركة الكردية في القرن الحادي عشر على شكل حركات إقطاعية متمايزة، ونمت في ظل سيطرة الإمبراطوريتين الفارسية ثم العثمانية على المنطقة، ومن خلال النزاعات التي كانت ناشبة بينهما، وظهرت تاريخياً عدد من الإمارات الإقطاعية الكردية، التي تمتّعت بنوع من الاستقلال الذاتي. وقد برزت هذه الحركة إلى الوجود كحركة قومية متبلورة مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بالارتباط مع تفسُّخ العلاقات الإقطاعية القبلية القائمة على الزراعة والرعي، ونشوء بدايات العلاقات الرأسمالية في المجتمعات الكردية في المنطقة.

وتأثرت هذه الحركة في البداية بأفكار القومية البورجوازية الغربية، ثم بالحركتين القوميتين العربية والتركية، ونمت في النضال ضد الظلم والاضطهاد، الذي كانت تمثله السيطرة العثمانية، وترعرعت في خضمّ الصراع ضد الإقطاعية الكردية، التي ارتبطت امتيازاتها مع الإمبراطورية العثمانية. وفيما بعد، عشية وغداة الحرب العالمية الثانية، تأثرت الحركة القومية الكردية بالحركات الثورية، ولا سيما ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى.

ومما يعقّد قضية الشعب الكردي، أنه موزع أو مقسّم بين كيانات وحدود دولية، مثبّتة ويعترف بها المجتمع الدولي، وبالتالي فإن الحركة القومية الكردية مجزأة حسب هذا الواقع. ووضع هذا ضرورة التوفيق بين الأهداف الوطنية في كل بلد وبين الأهداف القومية الكردية في مقدمة المعادلات الصعبة، التي ينبغي على الحركات القومية الكردية في كل بلد من هذه البلدان أن تحلّها بشكل صحيح.

فالقضية الأساسية، التي تواجه نضال الشعب الكردي الآن، وفي كل بلد من البلدان التي تضم داخل حدودها جزءاً من كردستان وشعبها، هي قضية النضال المشترك مع الشعب أو الشعوب التي يعيش وإياها ضمن إطار الدولة المعنية ، العرب أو الأتراك أو الشعوب الإيرانية ... وغيرهم، والنضال المشترك من أجل تحقيق التحرر الناجز والديمقراطية والتقدم الاجتماعي، الأمر الذي يخلق الأساس اللازم لحل القضية الكردية حلاً عادلاً على قاعدة الاعتراف بحق الشعب الكردي في تقرير مصيره بنفسه»، ثم يكتب في خاطرة له في بداية العقد الأول من القرن الحالي قائلاً :

« نود أن نقول للوطنيين والتقدميين الأكراد، نحن معكم أيها الأخوة والرفاق في عدد هام من المطالب الحيوية والمشروعة، الإنسانية والدستورية، التي تناضلون من أجلها: حق المواطنة الكاملة للمواطنين الأكراد السوريين والمساواة في الحقوق والواجبات. في وضع حدٍّ حاسم للتمييز الذي يحصل في عدد من الميادين. في الهوية والعمل والتنقل والانتماء إلى هذا أو ذاك من الأحزاب والفصائل ذات الخط الوطني والديمقراطي والتقدمي، سواء كانت تنظيمات كردية سورية أو عربية سورية. نحن معكم في بعث ثقافتكم القومية وفنونكم الشعبية ومعرفة لغتكم الأم إلى جانب اللغة العربية.

نحن معكم في وضع هدف نضالي لممارسة شكل من الحقوق الإدارية في مناطق تجمع الجماهير الكردية...في حق الدراسة والتعلم والتشغيل واستلام المسؤوليات، على اختلافها، حسب الكفاءات والجدارة. نحن معكم في نضالكم بأساليب ديمقراطية دستورية مع أشقاءكم الأكراد في البلدان الأخرى، انطلاقاً من الانتماء الوطني السوري، وباتجاه يخدم الانتماء الوطني بالدرجة الأولى، وهو أمر لا يتناقض، بل يتفق، مع الروابط بين الأكراد في مختلف مناطق تواجدهم. ويخدم هذا أيضاً إيجاد وتوطيد أفضل العلاقات المتساوية والقائمة على المنفعة المتبادلة بين البلدان المتواجدين فيها، بما يخدم نضال هذه البلدان ضد الإمبريالية والصهيونية ومن أجل انتشار الديمقراطية في كل منها. لكننا لسنا معكم في إضعاف الروابط الوطنية والالتزامات الوطنية والديمقراطية والتقدمية، نتيجة نزعة قومية ضيقة.

إن التقارب بين أجزاء كردستان، وتطوير ذلك نحو إقامة كردستان موحدة ليس جريمة، ولكنه أمر بعيد يكمن في غياهب المستقبل، ويتوقف وجوده، أو عدمه، على درجة تطور النضال الوطني في المستقبل، وانتشار الديمقراطية والتقدم الاجتماعي في البلدان، التي تقع فيها أجزاء كردستان، وعلى تطور علاقات الانسجام بين تلك البلدان. في تركيا جزء من كردستان، وهي دولة أطلسية، وفيها حكم ديكتاتوري عسكري. العراق فيه أيضاً جزء من كردستان، وفيها حكم ديكتاتوري شوفيني، ويجب العمل كي تستقل هذه البلدان عن الإمبريالية وعن السوق الرأسمالية، وتوطد استقلالها، وتشق طريقها التطوري الديمقراطي، وتسير نحو الاشتراكية. وبقدر ما يتحقق ذلك في كل من هذه البلدان، تسير مسألة العلاقات الكردية بين الأجزاء نحو الأفضل. إن وجود شكل من العلاقة الاتحادية بين أجزاء

كردستان يتوقف، بالدرجة الأولى، على التطور المستقل لكل هاته البلدان أولاً، وعلى مستوى العلاقات التي يمكن أن تنشأ بين الأنظمة الحاكمة فيها. فمجال النضال الأساسي، من الناحيتين الوطنية والقومية الكردية، هو المجال الوطني. منه يجب أن ينطلق نضالكم، وفيه تصب التضحيات. لذا تكون المهمة الأساس، على المستوى الوطني السوري، الكفاح في سبيل حماية وتوطيد استقلال سورية، وحماية مكتسبات شعبها من الأخطار الإمبريالية والصهيونية المحدقة، وفي سبيل تطورها الديمقراطي «

* (تناول مراد يوسف القضية الكردية في مناسبات عديدة، وتعرض هذه الفقرة المعدّة من قبل شقيق مراد تلخيصاً لبعض الأفكار المجموعة في بعض دفاتره بخط يده).

+++++

المصدر: كتاب بعنوان: مراد يوسف، تاريخ نضال من مفكرة وطن. من إعداد: معن دانيال داود. حوار وأرشفة: خالد نعمة. صادر عام ٢٠١٨)

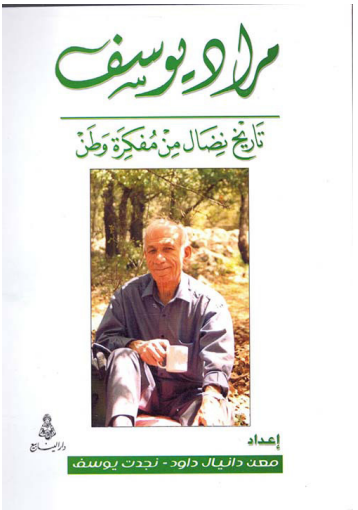

اقتصاد

أثر خطر سعر الفائدة على أداء محفظة الأوراق المالية

أثر خطر سعر الفائدة
على أداء محفظة الأوراق المالية

باحثة اقتصادية – مرشحة لنيل الدكتوراه في الاقتصاد

سي مر آزاد علي

في ظل التغيرات التي شهدها العالم خلال العقدين الأخيرين من الزمن والذي تتمثل بالتطورات والتغييرات الجذرية التي مست الحياة الاقتصادية بكافة جوانبها والتغيرات الكبيرة في الظروف الاقتصادية والمالية، بدأ دور

الأسواق المالية يتزايد لكونه يمثل حلقة وصل ما بين أصحاب الفوائض المالية وأصحاب العجز المالي، ومع زيادة حركة رؤوس الأموال وتوسع الفرص الاستثمارية فقد فُرض على المستثمرين البحث عن السبل والطرق العلمية التي من شأنها تحقيق أكبر عائد ممكن عند أقل مستوى ممكن من المخاطرة.

وهنا ظهر ما يُعرف بالمحافظ الاستثمارية Investment Portfolio لغاية تحقيق الهدف المالي للأفراد وجني الأرباح على المدى الطويل تتكون هذه المحافظ من الأسهم والسندات والأصول المالية الأخرى والتي يتوقع من الأشخاص الذين يساهمون فيها تحقيق عائد مجزي ينتظرون منه نمواً مناسباً في القيمة لهذه الممتلكات مع مرور الوقت، كما ظهر مفهوم إدارة المحافظ الاستثمارية لتسهيل عملية التحكم بالأدوات الاستثمارية.

ومما لا شك فيه، أن أي نشاط مالي يخضع لمتغيرات غير متوقعة، لعل أبرزها سعر الفائدة وتغيراته، وذلك لكونه مرتبطاً بدرجة وثيقة جداً بمعظم _ إن لم يكن بجميع _ أدوات التعامل في الأسواق المالية والنقدية، حيث يؤدي ارتفاع أو انخفاض هذا الأخير إلى خسائر فادحة بالنسبة للمستثمرين، تعرف بخطر سعر الفائدة فتتأثر محافظهم جميعاً بهذا العامل بنفس الاتجاه ولكن بدرجات متفاوتة. لذلك فأن تحديد معدل الفائدة المناسب للاستثمار يعتبر من أبرز التحديات التي تواجه المستثمرين في إدارة المحفظة المالية.

ونلاحظ أن ارتفاع سعر الفائدة يؤدي إلى انخفاض أسعار الأسهم والسندات لأن المستثمر العادي يفضل بيع الأوراق المالية التي يملكها وإيداع مقابلها كوديعة في البنك.

ورغم هذا الأمر فإن عملية إدارة مخاطر الفائدة ليست بهذه البساطة،

فالشركات ضمن المحافظ الاستثمارية تكون مقرضة ومقترضة للأموال غالباً، وبالتالي فإنها قد تتأثر بشكل سلبي بتغيرات أسعار الفائدة أو بشكل إيجابي، وهذا الأمر يتعلق بمقدار نسبة ديونها إلى إجمالي حقوق المساهمين، ويتعلق أيضاً بنسبة الديون التي تقوم بإقراضها إلى الآخرين من نسبة أصولها الإجمالية.

وفي ظل الأزمة الجيوسياسية (الحرب الأوكرانية) وارتفاع أسعار الطاقة، ناهيك عن تبعات جائحة كورونا. سيطرت حالة من عدم اليقين على الاقتصاد العالمي، وشهدت أسواق الأسهم بشكل خاص فترة صعبة خلال ٢٠٢٢.

ووفقاً لتقرير نشرته صحيفة «إزفيستيا» الروسية تحدثت فيه أن زيادة سعر الفائدة من قبل نظام الاحتياطي الفيدرالي بمقدار ٧٥ نقطة أساس، ليصل إلى ٣,٢٥ بالمئة استجابة لارتفاع معدلات التضخم كان له تأثير سلبي على الأسواق العالمية بما في ذلك أسواق الأسهم وأسواق العملات.

حيث هناك تشاؤم واسع النطاق حول التوقعات على المدى القريب للأسواق العالمية ويخشى الخبراء من احتمال حدوث المزيد من الهبوط. إن لم يكن حتمياً، وذلك في مناخ اقتصادي صعب. وإذا ثبت أن التضخم أكثر عناداً مما كان متوقعاً مما يتطلب أسعار فائدة أعلى لفترة أطول فقد تنخفض الأسواق أكثر.

ومن الصعب جداً شراء سهم منخفض أو بيع سهم مرتفع عندما تكون الأسعار متقلبة أو يكون الانهيار وشيكاً.

وبالنظر إلى التقلبات الحالية في أسواق الأسهم قد يكون من الجدير النظر في بعض الخطوات لمساعدة المستثمرين من حماية محافظهم الاستثمارية من الانكماش وذلك من خلال:

• التنويع في مختلف القطاعات والبلدان حيث سيؤدي شراء الأموال التي تغطي قطاعات جغرافية أو صناعية مختلفة إلى تقليل التقلبات وخطر ضعف أداء قطاع أو أكثر.

• التنويع في الأصول المختلفة وهو ما يقودنا إلى التنويع في الأصول غير القائمة على الأسهم, مثل السندات والممتلكات والسلع, والتي قد تحمي أيضاً محفظتك في حال انهيار سوق الأسهم.

وأخيراً من المهم اختيار الأصول التي لا تتحرك بتحرك الأسعار صعوداً وهبوطاً في نفس الوقت، ولكنها ترتفع وتنخفض في أوقات مختلفة وبهذه الطريقة إذا انخفضت قيمة أحد الأصول فمن المأمول أن تقابلها أصول أخرى تحتفظ بها أو تزيد من قيمتها.

كما أن ارتفاع أسعار الفائدة من المستويات المنخفضة في جميع أنحاء العالم يعد أمراً يثير القلق نظراً لتأثير التغيرات في أسعار الفائدة على نمو أرباح الشركات، وتقييمات رأس المال ورغبة المستثمرين في تحمل المخاطرة ومستوى العملات وكل ذلك له عواقب على سوق الأسهم.

++++

المراجع:

- www.noonpost.com
- Carla Tardi, ‹›What is a Portfolio››, Investopedia Retrieved. Edited 152021-10-
- Nick Brian, ‹›Impact of Rising Interest Rates on Equity Markets››, Global Asset Management. 2016.

شخصيات كوردية

أ- شريف باشا شعلة النور في التاريخ الكوردي المعاصر

ب- صالحة خاتون بانيةُ دير عطية

أ – شخصيات معاصرة

شريف باشا
شعلة النور في التاريخ الكوردي المعاصر

نوجدار بوتاني

يعد الدبلوماسي والعسكري شريف باشا ابن سعيد باشا ابن حسين باشا ابن احمد آغا خندان حالة استثنائية بين الزعامات الكوردية مطلع القرن العشرين. ولد سنة ١٨٦٥م. ويعود في أصله الى مدينة السليمانية، سليل رجالات الأسرة البابانية الشهيرة، الذين حكموا جنوب كردستان، انطلاقاً من عاصمتهم السليمانية. كان والده سعيد باشا (١٨٣٤ -١٩٠٧) من كبار شخصيات الدولة العثمانية، وكان قد تقلّد مناصبَ رفيعة، تارة كوزير للخارجية، وأخرى كمستشار للسلطان عبد الحميد الثاني.

تزوج شريف باشا من أمينة خانم حفيدة محمد علي باشا الكبير حاكم مصر في سنة ١٨٩٣م. نال شريف باشا في سنة ١٨٩٨م رتبة (الفريق) وأصبح سفيراً للدولة العثمانية في السويد. وكان يعد شريف من أثرياء السلطنة. أجاد عدة لغات أجنبية. وعندما حدث انقلاب الاتحاديين سنة ١٩٠٨، تعاون معهم في البدء بهدف تحقيق الاصلاحات، ثم اختلف وناضل ضدهم بعد أن عرف أنهم شوفينيون ومعادون لتحرر الشعوب وحقوق الانسان. لذلك استقال من منصب سفير الدولة العثمانية في السويد، وهاجر الى باريس. بدء نشاطه السياسي ضد الاتحاديين وكان مدافعاً صلباً عن حقوق كل الشعوب المنضوية تحت حكم السلطنة العثمانية، ولذلك وقف بقوة مع الأرمن في محنتهم.

أسس حزب معارض باسم: «حزب الإصلاحات الأساسي العثماني. ثم تحول ليصبح الناطق الرسمي لقوى المعارضة المضادة للاتحاد والترقي خارج البلاد. تصاعد نشاطه في أوربا وباريس. كما أصدر جريدة مشروطيت الإصلاحية في باريس (١٩١٤ -١٩٠٩). كتب فيها قناعته السياسية ومولها بسخاء.

كان شريف باشا شخصية ريادية يتصدر المشهد السياسي المعارض

للأتراك في أوربا. أثبت حضوره كشخصية متنورة وتقدمية وضد الرجعية والاستبداد. وكان على اتصال وثيق مع الحزب الاشتراكي العثماني في باريس. كان فعالاً طوال سنوات (١٨٩٩ – ١٩٢٠) ومدافعاً عن حق الكورد في الاستقلال حتى عرف في أوربا ب (أبو الكورد). وكان من أوائل من طالب بالمساواة بين الأمم والأقوام. تعرض للملاحقة وتم اضطهاد أقربائه من قبل سليمان نظيف والي الموصل والشخصية المعادية للكورد، رغم أصوله الكوردية. تم محاولة اغتيال شريفا باشا في باريس سنة ١٩١٤ ونجى بأعجوبة. حيث لجأ الحكم التركي الاتحادي إلى تكليف وارسال فريق من ثمانية اشخاص بقيادة مدير امن اسطانبول الى باريس لاغتياله. وضجت الصحف إثر الحادث، ثم تكررت المحاولات لاحقاً.

كان قائداً اصلاحياً وليبرالياً لدرجة أن خوله بعض الليبراليين الأتراك العثمانيين لتمثيلهم في المحافل الدولية. وخاصة بعد مؤتمر جنوة الذي عقد في إيطاليا. وأصبح شريف باشا ممثلاً عن الشعب الكردي بعد أن اشترك في ١٦ كانون ثاني ١٩١٩ في مؤتمر عقد في جنوة وحضرها شخصيات كردية وتركية. وحسب نبأ نشر في ١٩١٩/١/٢٠ في جريدة نيويورك تايم أن مؤتمر الليبراليين المنعقد في جنوة كلف شريف باشا بتمثليه إياهم في لقاءات مؤتمر الصلح في باريس. وبهذا الخصوص فان هذه الوفود منحت شريف باشا كامل الصلاحيات، وبلغت برقياً كل من الرئيس الأمريكي ولسون ورؤساء الوزارات: كليمانصو ولويد جورج وأورلاندو بشأن الموضوع. ولكن بعد إصرار جمعية تعالي كوردستان فضل شريف باشا تمثيل الكورد فقط. وبعد ذلك بشهر أعلن شريف باشا أنه لم يعد يمثل العثمانيين وانما يمثل وفد الكورد ويمثل الشعب الكوردي فقط. وعندما قرر شريف باشا ذلك حيث كتب وأعلن انه يمثل الكورد ويطالب بحقهم،

حدثت ضجة وانتاب سرور الأوساط الكوردية بحسب مجلة زين الناطقة باسم جمعية تعالي كوردستان.

لقد أنجز شريف باشا الكثير في مؤتمر الصلح بباريس، فقد قدم مذكرة على شكل بحث موجز يشرح فيه تاريخ الكورد ومناطق كثافتهم السكانية، كما اتفق مع الأرمن وترجم حسن علاقته معهم، وتحقق ذلك بتشجيع من أمريكا وبريطانيا، ثم توج باتفاق. وكان دوره أساسي في وضع اللبنة الأولى لحق الكورد في الاستقلال. ولكن للأسف قبل انتهاء مؤتمر الصلح، دبت الخلافات بين الزعامات الكوردية، خاصة إثر تراجع سيد عبد القادر رئيس جمعية تعالي كوردستان عن سقف الاستقلال وفضل فقط الحكم الذاتي. وطلب من شريف باشا الاستقالة. ولذلك قدم شريف باشا استقالته من رئاسة الوفد قبل توقيع سيفر في نيسان ١٩٢٠ تحت ضغط سيد عبد القادر رئيس جمعية تعالي كردستان الذي فضل الحكم الذاتي فقط، حيث كان عبد القادر ذات نزعة عثمانية. بعد استقالة شريف باشا تم تعيين بديل لتمثيل الكورد في سيفر وبعدها لوزان... وتباعد البدرخانيون المطالبين بالاستقلال والأكثر راديكالية بين الزعامات الكوردية في هذا الخصوص عن السيد عبد القادر، الذي كان ثمن تراجعه عن الاستقلال، أن أعدمه الحكم الكمالي لاحقاً. وكان لانسحاب شريف باشا دور كبير في ضعف النصوص التي أقرت حق الكورد في سيفر بالاستقلال. ولاحقاً في لوزان تبخرت هذه الحقوق، واختفت من نصوصها تماماً أي إشارة لحق الأمة الكوردية في الاستقلال.

ثم خرج شريف باشا من المعترك السياسي، وعاد الى مصر لكي يعمل في أراضي زوجته الواسعة على ضفاف نهر النيل. وثمة إشارات أخرى تشير إلى أنه كان يساعد النشطاء الكورد حتى سقوط جمهورية

مهاباد. توفي شريف باشا في إيطاليا سنة ١٩٥١. وبموته انطفئ شعلة من الذكاء والنور كانت تضيء سماء كوردستان من الخارج.

شريف باشا أواخر عمره

ب – شخصيات تاريخية:

صالحة خاتون بانيةُ دير عطية

خاتون دير عطية: هي صالحة خاتون ابنة الأمير الكبير صلاح الدين بن بهلوان بن الأمير شمس الدين الاكري الآمدي بانيةُ بلدة دير عطية. وذلك في مطلع القرن التاسع الهجري، الموافق لأواخر القرن الرابع عشر الميلادي.

ودير عطية؛ قرية كبيرة تبعد عن قارة إلى الشرق الجنوبي نحو عشرة كيلومترات يبلغ عدد سكانها (٥٠٠٠) أكثرهم مسلمون وأقلهم روم

أرثوذوكس وروم كاثوليك. وهذه القرية أحدثت بعد الحروب الصليبية، بنتها صالحة خاتون ابنة أحد أمراء الأكراد. قال في خطط الشام (ج٥ ص١١٧) ومن الوقفيات الغريبة التي اطلعنا عليها حجة نقلت حوالي المئة العاشرة عن حجة كتبت سنة ثمان وسبعمائة للهجرة جاء فيها أن «الست الجليلة صالحة خاتون ابنة الأمير الكبير صلاح الدين بن بهلوان بن الأمير شمس الدين الاكري الآمدي وقفت وحبست وأبدت في صحة منها وسلامة وجواز أمرها جميع الضياع الخمس المتلاصقات المعروفات بوادي الذخائر عمل دمشق المحروسة وتعرف احداهن بالبويضا والثانية بالبريصا والثالثة بالحميرا والرابعة بدير عطية والخامسة بالحمرا، وقد تغيرت معالم هذا الوقف ولا يعرف بهذه الأسماء غير دير عطية والحميراء في تلك الجهة وانتقلت القريتان إلى أيد أخرى.

ولأحد أحفاد هذه الخاتون الصالحة ذكر في كتابة نقشت على سقف غرفة قديمة بالية من اللبن تاريخها سنة ٨٦٢ هجري، وليس في دير عطية بناء أثري غير هذه الغرفة فيما علمت. وقال بعض أهلها أنه كان في قربها دير على اسم القديس ثاودروس ومعناه عطا الله فعرب اسمه بدير عطية، وأنه لما أوقفتها صالحة خاتون المشار إليها لم تزل تعني بفلاحتها وتزكية مزارعها حتى صارت من أمهات قرى جبل قلمون. وفيها المياه الطيبة والبساتين الغناء. وفيها الآن ثلاثة مساجد وكنيستان من البناء الحديث ومدرسة للعلم الديني الإسلامي ودور جميلة في الجملة.

OOOO

المصدر: أحمد وصفى زكريا. جولة أثرية في بعض البلاد الشامية: وصف طبغرافي تاريخي أثري عمراني للبقاع والبلدان الممتدة من شمالي الاسكندرونة الى أبواب دمشق.

قراءة في الكتب والمطبوعات والوثائق

رواية «المهزومين» ... قصة حزب العمل الشيوعي في سوريا

رواية «المهزومين» ...
قصة حزب العمل الشيوعي في سوريا

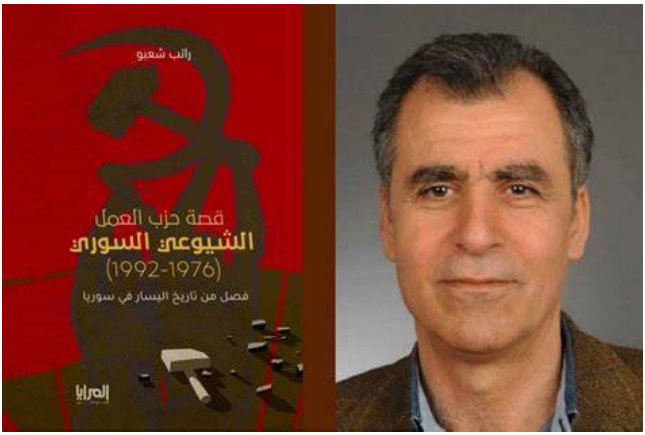

بنكين حمزة – كاتب وطبيب بيطري

أجهزَ الأمن العسكري في عصر الثاني عشر من شباط من عام ١٩٩٢م على حزب العمل الشيوعي، حيث ألقى القبض على آخر اثنين من قيادته، عبد العزيز الخيّر المسؤول السياسي وبهجت شعبو مسؤول التنظيم. اقتيدَ

الإثنان إلى مركز الفرع ومُنح قائد الدوريّة سيارة خاصة كمكافأة بالإضافة إلى جوائز مالية له ولعناصر الدوريّة التي أطلقت النار بشارة النصر في مقر الفرع وكأنها قد استقدمت مفاتيح القدس، وسط حلقات دبكة استفتاء «الأسد الأب» لولاية رئاسية جديدة في نهاية ١٩٩١ وبداية ١٩٩٢ م. أُعلن عرس الديكتاتور وأصبحت البلاد سجناً كبيراً. أسدل الخوف ظلاله على طول البلاد وعرضها؛ بلادٌ يتكلم فيها الشعب همساً في السياسة والشأن العام، وتمتلك فيها جدران البيوت آذاناً تشي بالهمس للسلطات. بهذا القمع طوي سجل حزب العمل الشيوعي عمليّاً.

كذلك حارب النظام السوري حزب العمل، مع تجنب مجرد ذكر اسمه في إعلامه الرسمي، من خلال أساليب مبتذلة رخيصة من خلال قنوات التشكيك والشائعات المُغرضة لتشويهه وتهميشه. من تلك الإشاعات أن حزب العمل مجموعة سريّة اعتمدت العمل المسلح، وأخرى تقول: أن الحزب تقوده مجموعة من «الضباط العلويين». سيطرت الصورة المُروّجة تلك على الصورة الحقيقية في ذهن الجماهير. لا مجال للمقارنة بين إعلام وإمكانات حزب يعتمد على تبرّع الرفاق، ذي صبغة طُلابيّة جامعيّة، مع دولة قائمة بمؤسساتها وإعلامها، شائعات جعلها فطاحلة المؤرخين مصدراً لهم وهم يخطّون صفحات من تاريخ تلك المرحلة.

كذلك اتهمه «الإخوان المسلمون» بأنه حزب عميل للصهيونيّة، ملحد كافر، يدعو إلى التحرر الجنسي وإفشاء الرذيلة في المجتمع. واتهمته أيضاً بعض الأحزاب الكردية أنه يزاود عليها، يضعها في موقف محرج أمام جماهيرها.

الأحزاب الشيوعية الرسمية هاجمته بالقول إنه مغامر قاده عملاء لتأكل السجون خيرة الشباب المثقف كما ساهم بتثبيت النظام، دون أن يرد اسم

الحزب في أدبياتها.

في خضم تلك الاتهامات آليتُ أن أقرأ «رواية المهزومين» أنفسهم، وقد تكون رواية د. راتب شعبو عن قصة حزب العمل الشيوعي في سوريا أجملها وأكثرها دقة وشمولية وحيادية. كانت تلك القصة مميزة بدءاً من الإهداء والغاية منها انتهاءً بانهزامها.

لم تكتف نكسة حزيران بسحق الجيوش العربية في ستة أيام فحسب، بل طالت هزيمتها وجدان الشباب العربي، حيث ولّدت شعور اللامبالاة عند الجماهير من كل ما يجري من حولها. تلك النكسة مع ظهور موجة اليسار الجديد في تلك الفترة ساهمتا في بروز فئات شابة في سوريا جلّهم كانوا من الطلاب، انكفأت على القراءة، وجدت في أسئلة وأجوبة ماركس الدواء الناجع لواقعها المهزوم. سهّل حزب البعث طباعة ونشر تلك النوعية من الكتب. شباب بكل ما تحمله الكلمة من نشاط وإبداع وطاقة، كتلة ثورية ضد كل ما هو قديم وسلطة مستبدة ابتداءً من سلطة الأب مروراً بسلطة مدير المدرسة انتهاءً بسلطة رأس هرم النظام. اهتمت بالشأن العام بين أعوام (١٩٦٧ ـ ١٩٧٦ م) على شكل حلقات مستقلّة عن بعضها ومنتشرة في معظم المحافظات وفي الجيش على تخوم الجولان المحتل. كان تنظيمهم في الجيش مقامرة ومقتلاً لهم. عُرفت تلك الحلقات باسم «الحلقات الماركسيّة». لكلّ حلقة رمزها في مكان تجمّعها. كانت تجتمع بشكل عفوي أو دوري. كان الجميع يخضع في تلك الاجتماعات إلى النقد بمن فيهم ماركس وإنجلز. كانت مجلة «البروليتاري» منبراً لآراء الأقلية وللنقد الداخلي. اشترطت حلقة حماة، الأكثر نشاطاً، لقبول العضوية فيها الخضوع لدورة تدريبية لدى إحدى الفصائل الفلسطينية. تعرفّت الحلقات على بعضها في دمشق من خلال جامعتها أو خدمة العلم فيها أو

في مكاتب اليسار الفلسطيني. ناشدت أمة عربية اشتراكية واحدة، رأت في الحزب الشيوعي العربي الموحد أداةً لتحقيق هدفها. جانبت الخوض في الوحدة المصرية السورية واعتبرت موقف الحزب الشيوعي السوري خطأً تكتيكياً. اكتنف موقفهم الغموض من تلك الوحدة. كانت القضية الفلسطينية هي البوصلة الموجّهة لهم. يُخيل للقارئ أحياناً أن تلك الحلقات كانت فلسطينيّةٌ أكثر ما هي سوريّة رغم مرارة الواقع السوريّ آنذاك. كانت متحررةً من قيدي النظام والسوفييت في موقفها من القضية الفلسطينية. ولم تنشد مهادنة ولاتسوية مع النظام قط الذي اعتبرته امتداداً لسلطة شباط. واعتبرت حل القضية الفلسطينية المفتاح لحل مشاكل الشرق الأوسط، ولحلّها لا بد من ضرب إحدى بلدان الطوق، وإسقاط الأنظمة الرجعيّة العميلة المساومة في إحداها، تكون قاعدة لحرب شاملة مع إسرائيل.

ولدت الحلقات بعيداً عن رحم الحزب الشيوعي الرسمي. راهنت الحلقات على المكتب السياسي للحزب الشيوعي في بث الروح الثوريّة في خضم خلافاته مع زعيم الحزب خالد بكداش. بعد فشل الرهان ذاك، عقدت الحلقات مؤتمرها التأسيسي الأول في دمشق عام ١٩٧٤ م، وكان الثاني بعده بعام أيضاً في دمشق. وفي حلب في صيف ١٩٧٦م كان المؤتمر الثالث الذي حضره مئة وعشرون عضواً وأطلقت على نفسها «رابطة العمل الشيوعي». الفصيل الماركسيّ اللينينيّ، يقوم ببناء فرع سوري للحزب الشيوعي العربي ويرمي إلى رفع وعي وتنظيم وتعبئة الطبقة العاملة وحلفائها لإنجاز الثورة الاشتراكية.

قدّمت الرابطة ومن ثم حزب العمل نموذجاً فريداً في سوريا من حيث التنظيم ونظامها الداخلي، فقد كانت قيادتها فعلياً جماعية تقودها هيئة مركزية من / ١٥ / عضواً ولجنة عمل من / ٥ / أعضاء، اعتمدت الاستقلالية

المادية وإلغاء منصب الأمين العام وتخلّصت بذلك من الضغوطات بجميع أشكالها ومن هاجس ديكتاتورية القائد، وحظيت باحترام منقطع النظير من قبل الفصائل الفلسطينية وبندّيّة التعامل معها. كان لوقع نكسة حزيران أثر بالغ في تاريخ رابطة العمل. حزيران الأسود الثاني، الذي تدخل فيه النظام السوري في لبنان للقضاء على المقاومة الوطنية، سرّع في إعلان رابطة العمل وكان التدخل ذاك طاغياً على المؤتمر. اعتبرت الرابطة التدخل السوري في لبنان غزواً، ووصفت النظام بالفاشي، وأنّ الغزو كان نتيجة تنسيق سوري أمريكي إسرائيلي لضرب الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية، التي شارك أعضاء في الرابطة معها بالسلاح وبالكلمة والدعاية السياسية والتدريب. وأصدرت الرابطة ثلاثة عشر كراساً طبعت بمساعدة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في لبنان.

قامت الرابطة بأول نشاط عملي بضرب الطوق الأمني حول مؤتمر الشعب العربي المنعقد في فندق الشيراتون في دمشق، حيث وزعت الرابطة بياناً لها في غرف الوفود الضيفة.

طالتها أول حملة اعتقال قبل مضي ستة أشهر على تأسيسها، اقترح بعضهم بالرجوع القهقري إلى الحلقات، رفضت الأغلبية ذاك المقترح. ترك بعض أصحاب ذاك الرأي الرابطة إلى الأبد مع استعدادهم لتقديم الخدمات بعيداً عن الصفة التنظيمية.

توالت حملات الاعتقال على رابطة العمل الشيوعي بفواصل لم تتجاوز الستة أشهر. أتت الحملة الخامسة في آذار ١٩٧٨ التي تولاها الأمن العسكري ذو الصيت الأكثر سوءاً بين الفروع الأمنية، لتقسّم القيادة بعد اجتماعها في نيسان إلى قسمين؛ قسم يذهب إلى لبنان يشرف على إصدار نشرتهم (الراية الحمراء) ويصبح احتياطياً يعود إلى الوطن في حال

تعرض قسم الداخل الذي يشرف على التنظيم للاعتقال. صدر العدد ٣٥ من الجريدة حاملاً في صدره شعار إسقاط السلطة وكان العدد الوحيد في مسيرة الراية الحمراء الذي حمل ذاك الشعار الذي سبب لها المتاعب بين الجماهير وساهم في نشر إشاعات النظام عنهم التي أساءت إليهم. رُفع الشعار عن صدارة الجريدة استرضاءً لأحد القياديين الذي أدرك صعوبة تحقيق ذاك الشعار بإمكاناتهم المحدودة ومدى تأثيره السلبي عليهم في مواجهة سلطة الاستبداد ملوّحاً باستقالته مع الاتفاق على عدم تجميد ذاك الشعار في أدبياتهم.

ظهرت الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين في مسلسل اغتيالات استهدفت فيه شخصيّات مرموقة من الطائفة العَلَويّة أو شغلت مناصب أمنيّة ليتوّج بمجزرة مدرسة المدفعية، المجزرة الطائفية المقيتة. في خضم ذاك المسلسل أطلقت السلطات سراح جميع المعتقلين اليساريين باستثناء الضباط الأربعة أعضاء الرابطة. حيث اجتمع كل من شغل منصب الهيئة المركزية واختير أحد عشر عضواً في تلك الهيئة مع أربعة احتياطيين، انبثق منها لجنة عمل من / ٥ / أعضاء، قررت الخروج للعلن بعد محاولة اغتيال الأسد الأب لجس نبض السلطات التي لم تتوان عن اعتقالهم برهةً.

انعقد المؤتمر الأول والأخير للرابطة بين ١و٦ آب ١٩٨١ في قضاء الشوف في لبنان، حيث أمنت رابطة الشغيلة في لبنان ذاك المكان بطلب من الرابطة على أن يكون تمويل المؤتمر ذاتياً. حضر المؤتمر / ٥٥ / مندوباً من بينهم اثنتين من النسوة وتحوّلت الرابطة إثره إلى حزب العمل الشيوعي. عرف الأمن السوري بانعقاد المؤتمر بعد مرور عشرة أيام حيث اعتقل ثلاثة قياديين وقام بدعوة اثنين منهم ليحملوا رسالة إلى القيادة، مفادها أن الدولة ستمنحهم مكاتب ووزارات ومناصب وطباعة إصدارات

الحزب وأدبياته أو أن عليهم اختيار المواجهة. رسالة كانت الغاية منها شق صفوف الحزب وإثارة البلبلة.

موقف الحزب من النظام لم يتغير قيد أنملة رغم الصراع الذي دار بينه وبين الإخوان المسلمين حيث لم يجد الحزب أية أرضية وطنية لذاك الصراع، وكثّف "نيرانه» على الطرفين وراهن على قيام قطب ثالث؛ قطب الجماهير، وكان النظام هو «الأقل سوءاً» في نظره، ذاك الصراع الذي انتهى بانتصار النظام في حربٍ خَلَت من الأخلاق والإنسانية.

لشهر حزيران وقعه في تاريخ حزب العمل. ففيه اجتاحت إسرائيل دُرّة الشرق وحاصرت بيروت لأكثر من شهرين، اجتياح فقد فيه العرب الكرامة، من إغلاق صنبور النفط جزئياً عن العالم في حرب أكتوبر، إلى دعوة العالم إلى فتح صنبور الماء عن بيروت العطشى. اجتياح سلامة الجليل ترسيخاً لحدود إسرائيل. في حزيران تحول حزب العمل إلى خلية نحل لا حدود لنشاطها؛ أصدر أكثر من عدد من رايتها الحمراء في كل شهر ووزّع المناشير وبيانات الإدانة للعالم أجمع، وخيّر حكام العرب فيها بين الحرب أو الرحيل. جمع الحزب التبرعات مع الفصائل الفلسطينية للمقاومة، طالب معتقلوه بالإفراج للانضمام إلى جبهات القتال ليُرحلّوا إلى سجن تدمر السيء الصيت بقرارٍ جاحد حاقد.

هاجم حزب العمل ياسر عرفات بعد الاجتياح ووقف مع أبي موسى ضده. واخترق الحزب اللجان الشعبية في المخيمات الفلسطينية لدرجة عدم تفريق سلطات الأمن السورية بينها وبين حزب العمل، التي كانت ترى في اللجان الشعبية حزب العمل.

شارك حزب العمل في احتفالات نيروز ١٩٨٦م، حيث كان وقتها أي

اقتراب بين العرب والكرد من الخطوط الحمراء عند النظام، وطالب بحق الشعب الكردي في تقرير مصيره وإحقاق حقوقه الثقافية والإدارية المشروعة، وأن يكون نيروز عيداً وطنياً رسمياً ومنح الجنسية السورية للكرد المجرّدين منها ورفض المشاريع العنصرية بحقهم من حزامٍ عربي إلى تهجير، وشارك في مراسيم شهيد نوروز دمشق ١٩٨٦، سليمان آدي، في مدينة القامشلي.

رغم تلك النهاية المأساوية لحزب العمل الشيوعي يلازمني شعور الفخر بشبابٍ أحمل جنسيّتهم وننتمي لوطنٍ واحد، حيث عمل النظام على تمييع العمل السياسي وبثّ الإشاعات للنيل من الأحزاب السياسية لتحتكر السلطة وتصادر المجتمع والحياة، وطننا الذي يعاني الآن من أتون أبشع أنواع الحروب الداخلية و ارتهن جلّ ساسته إلى القوى الخارجية التي اختلفت مبتغاها عن أهداف الشعب السوري في الحرية والكرامة؛ ساسة أمسوا دمى مسلوبة الإرادة وحناجر وأيادي لمموليهم، تلك التجربة التي أستطيع أقول من خلالها وبملء فمي: سوريا لن تنضب رحمها، هناك من رفض المساومة وبقي شامخاً رغم السلاسل والموت المحفوف بها، رغم المغريات المختلفة. جذوة الأمل باقية، لن ينال منها الطغاة، سيبقى الشهيد المقتول تحت التعذيب حلماً سرمدياً لن يتمكن منه الموت قط، لا لابنته فقط بل لنا جميعاً إلى أن يتعافى وطننا ونوقد شموع حريته على ذرى قاسيون وقمة شيخنا الأشم - جبل الشيخ -، فوق روابي عفرين الجريحة، على شواطئ بحرنا حيث نوارسه المحلّقة معلنةً السلام، وعلى ضفاف دجلة والفرات المتدفّقان أبداً.

أدب وفن

من رواية «الشهيدان عُمَر قدُّور»

رواية تغريبة القافر حصدت جائزة البوكر العربي

قصة: سارة البصيرة

شعر: شعر

لوحة وفنان:

الفنان التشكيلي رحيمو حسين

من رواية «الشهيدان عُمَر قدُّور»

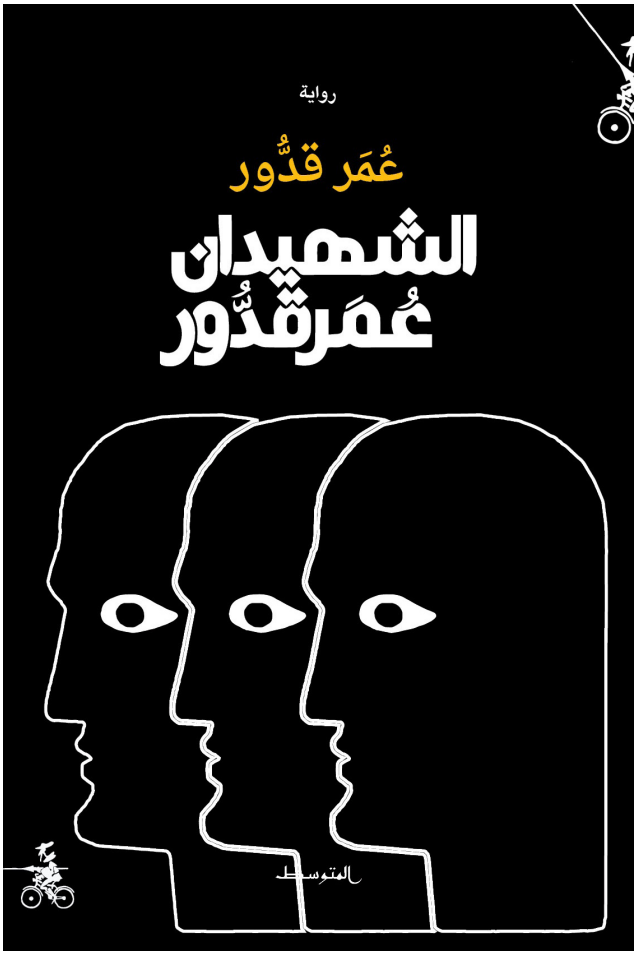

أتودّدُ لآفين بطريقة فجّة نوعاً ما، فتبادرني بالسؤال: هل أنت شيوعي؟

كنت قد أعددت نفسي لمختلف الإجابات، بما فيها التمنع والدلال، أو الرفض. أن تسألني عما إذا كنت شيوعياً إجابة لم تكن لتخطر في بالي على الإطلاق. أقول لها: لا، لست شيوعياً.

كيف سأحبكَ إذن؟ نحن عائلة شيوعية وأنت لست شيوعياً.

فيما بعد ستضحك طويلاً كلما تذكرتْ سؤالها ذاك، فهي قد اخترعته حينها تلقائياً لتأخذ وقتاً قبل الإجابة بالموافقة أو الرفض. عائلتها معروفة في الضيعة بوصفها العائلة الشيوعية الوحيدة، أبوها كان قد اعتنق الشيوعية إثر زواجه بمدة قصيرة، ولا أحد يعرف كيف ولماذا. مع أن القصة بسيطة جداً؛ ذهب الأب ليهنّئ ابن خالته، الذي لم يره منذ المراهقة، بعودته من بعثة دراسية إلى الاتحاد السوفيتي. هناك في قرية «آشكان شرقي»، بعد ذهاب المهنئين الغرباء، سينصت باهتمام إلى أحاديث ابن خالته عن موسكو والبروليتاريا والفودكا، لن يتردد في سؤاله: كيف أصير شيوعياً؟ ولن يتردد ابن الخالة في الاستجابة إلى طلبه، وفي إعطائه بعضاً من الكراسات الحزبية التي قرأها في بداية انتسابه إلى الحزب، ليعود في اليوم التالي إلى قريته «تل سلّور» شيوعياً.

في أول سهرة له يحضرها بين العديد من رجال الضيعة سيتحدث إليهم عن البروليتاريا، وعن أنها شيء مختلف عن كلمة الكادحين التي يستخدمها حزب البعث العربي الحاكم. يسترجع أمامهم ما سمعه من ابن خالته عن سلطة البروليتاريا في روسيا، وكأنه هو الذي زار ذلك البلد، ولا يرى ضيراً في سرد حكايات وردية من نسج خياله عن موسكو ولينينغراد، ومبالغات أخرى أضخم عن ستالينغراد وعن ستالين نفسه الذي سيراه بمرور الوقت بمثابة ربّ للشيوعية الحقة. ستفشل محاولاته في استقطاب

أي رجل أو شاب صغير لضمه إلى الحزب، وتعبيراً عن خيبته سيكرر جملة أثيرة لديه، يكررها حتى إذا كانت المناسبة طبخة لم يعجبه مذاقها من يدي آفين أو أمها: لا أمل بنا.. لا أمل، نحن بروليتاريا رثة. هكذا، لن ينجو من تهمة البروليتاريا الرثة سوى ابنه الأكبر الذي سيرث انتماءه الحزبي عندما يصبح طالباً في الثانوية، ثم لتظن آفين نفسها شيوعية بين الجد والمزاح.

ربما أيضاً كان سؤالها مخرجاً لائقاً بدل القول: أنا كردية وأنت لست كذلك، أنت عربي.

لو قالتها لتحقق أسوأ مخاوفي، ولكانت وفية لذكرى أخيها الأوسط الذي كان بالتأكيد سيمانع خطوبة أخته من عربي. هذا بالطبع لا يجعلني فرحاً بمقتله قبل سبع سنوات من خطوبتنا، لما تركه ذلك من أثر عليها. أحياناً، عندما كانت تأتيها نوبة شجن مغايرة لشخصيتها، كانت عيناها تمتلئان بالدمع وهي تحكي لي عنه، جان كان الأخ الأقرب إلى قلبها من بين أخويها، ورغم فارق السنتين فقط بينهما فقد كان يدللها بإفراط كأنه أكبر منها بعشر سنوات على الأقل.

يتغيّر جان، وهي أول من يلاحظ ذلك، لكنه ينكر تغيّره بشدة إذ تسأله عن السبب. كمراهقة تقول لنفسها: لا بد أن يكون مغرماً بفتاة ما، وبعناد مراهقة لا بد لها أن تعرف القصة برمتها: جان.. قل لي، من هي؟ يضحك جان، تظنه يضحك مرتبكاً لأنه أمسكت بسره الدفين. على أي حال، تحت عنادها سينطق باسمها: كردستان.

أتصدّقُ أنني كنت حينها غبية، فاعتقدت أنه يحب فتاة اسمها كردستان! أكثر من ذلك، كنت بلهاء فلا أفهم أقواله التي تبدو لي بسيطة على حقيقتها، وهو يراني غير واعية لما يقول فيستسهل المراوغة. أسأله: كيف حال

كردستان؟ وأطلب منه أن يصف لي شكلها، فينقل لي تحياتها، ويصف لي فتاة كاملة الجمال. في مرة أخرى أسأله السؤال ذاته فيجيبني: كردستان جريحة. أنفعل من الإثارة وهو يشرح لي كيف أن جندياً تركياً من حرس الحدود أطلق النار فأصابها، أتمنى أن تكون إصابتها خفيفة، فيؤكد لي أن كردستان قوية جداً، وأنها ستتعافى وستثأر من الجندي وستقتله هو وزملاءه. حتى عندما سيختفي جان نهائياً، وسينتشر خبر ذهابه إلى جبال قنديل للتدرب في صفوف حزب العمال، أول ما سيتبادر إلى ذهني أنه ذهب لينتقم لحبيبته كردستان من ذلك الجندي التركي.

لن يعود جان إطلاقاً، سيقرع بابنا رجل غريب، يقدّم نفسه باسم سردار، كأن في حلقه شريط مسجّل يتحدث للتغطية على ارتباكه بالخبر السيء الذي يحمله. يشيد بمناقب فرهاد، وببطولاته في قتال الأتراك، يحكي عن مآثره القتالية ذاكراً أسماء مناطق لا أعرفها مثل ليجه وكارز، يقول إنه في إحدى العمليات اشتبك مع الجندرما التركية في قلب مدينة آمد «ديار بكر».

المؤسف أن فرهاد استشهد بعد كل ذلك، أثناء مواجهة مع الجندرما بالقرب من هرزو، ولم يتمكن رفاقنا من انتشال جثته والانسحاب بها. يُخرج الرجل الذي يسمّي نفسه سردار رزمة أوراق من حقيبة جلدية صغيرة، يشدد على أن قيادة الحزب تعتز بتضحية فرهاد، وستطلق اسمه على أحد المعسكرات في جبال قنديل. كان في تلك الأوراق جميعاً النسخة ذاتها من نعي الحزب المقاتل البطل فرهاد، بينما كانت الصورة في ورقة النعي لأخي جان، جان الذي صار باسم آخر ولحية كثيفة.

في إحدى نوبات شجنها تلك سأقول لها: لو كان جان حياً يوم خطوبتنا لكان عليّ دراسة كتابات أوجلان قبل الذهاب إلى بيت أهلك.

أشعر بندم شديد إثر نطقي بالعبارة، فليس من اللباقة ممازحة شخص يبكي بتأثر شديد. تجحظ عينا آفين، وتسقط دمعتان كبيرتان بفعل اتساعهما، لكنها تستدرك بالضحك، بنوبة من الضحك، بذلك الضحك الذي لا يصدر إلا عن شخص يبكي.

ما جعلني أمازحها هكذا أنها، عندما اتفقنا على الخطوبة وبات علي التقدم إلى أهلها، اقترحتْ للتقرب من أبيها وأخيها الأكبر أن أتعرّف على الشيوعية البائدة، لعل معرفتي تشفع لي في حضرتهما. هكذا تطورت الفكرة، بعد أن تداولنا فيها مراراً، فأولاً بدأت بإعارتي الكراسات الشيوعية العتيقة التي يحتفظ بها أبوها في صندوق خاص في غرفته. بالأحرى كانت تقوم بسرقتها واحداً تلو الآخر في عطلة نهاية الأسبوع عندما تذهب لزيارة أهلها، وكانت تستعجلني كي أعيدها بسرعة مخافة أن يفتح الأب صندوقه ويكتشف فقدان واحد من كتبه المقدسة. لا ننتبه لما في هذا السلوك من صبيانية، فما دفعها إلى اختلاسها وموافقتي عليه هو على الأرجح ذلك الإحساس اللذيذ بارتكاب مغامرة صغيرة.

لاحقاً، ستتطور الفكرة لأن معرفتي المستجدة بالشيوعية باتت تؤهلني للادعاء بأنني طلبت الانتساب إلى الحزب، وأنني متلهف في انتظار الحصول على الموافقة. في الواقع كنت أيضاً قد تقرّبت من شيوعي لا أستلطفه أبداً من زملائي السابقين في الجامعة، ولم يطل بي الأمر حتى صارحته بمآربي العاطفية، فأعطاني اسم قيادي في الحزب كي أستخدمه على مسؤوليته من أجل تزكيتي أمام أهلها. أسأله عن مكتبة أجد فيها كتباً عن الشيوعية، فيجيب بأسف أن المكتبة التي كانت تبيعها بأسعار زهيدة قد أُغلقت وأصبحت محلاً لبيع الكنافة النابلسية. فيما بعد سأسمع الإجابة نفسها على سبيل التندر، وأكتشف أنها أصبحت بمثابة شعار فكاهي: من

الماركسية إلى النابلسية.

يومَ سأطلب يدها سأشعر في بيت أهلها كأنني كائن غريب هبط من كوكب آخر، ربما تعمّد أبوها وأخوها التعامل معي برسمية شديدة أشبه بالجفاء الشديد، وربما كان مردّ ذلك إفهامي أن طلبي لن يُلبّى بسهولة ويسر. سأشعر بخشية أكبر عندما سيطلب الأب أن نبقى وحدنا، ويوشوش زوجته طالباً منها شيئاً ما. ستأتي الزوجة بصندوق خشبي قديم وصغير، تضعه أمامه منسحبة بسرعة لا تخفي نظراتها القلقة، بينما هو منشغل بالعبث بشاربيه الشبيهين بشاربي ستالين.

يفتح الأب الصندوق: ما هذا؟

إنه مسدس.

يخرج كتاباً بغلاف أحمر عتيق من الصندوق نفسه: ما هذا؟

هذا كتاب «ما العمل؟» للينين.

اسمعْ جيداً، لست مرتاحاً لتزويجك ابنتي، وأتمنى أن يكون إحساسي خاطئاً. لقد وافقت على زواجكما بعدما أقسمتْ لي أنك تسعى لتكون شيوعياً صالحاً، وبكت أمامي ولا أقوى على كسر قلب ابنتي الوحيدة، ويجب أن تعرف منذ الآن ماذا أفعل بمن يكسر قلبها. لم ينتظر ردي، ولم يصغِ إليّ وأنا أؤكد بصدق أنه يستحيل عليّ أن أخدش مشاعر ابنته. خرطش المسدس ليصبح جاهزاً للإطلاق، وضعه فوق كتاب «ما العمل؟»، وأقسم فوقهما أن سيقتلني إذا رجعتْ إلى بيت أهلها يوماً وهي تبكي أو تشكو بسببي.

في أول مشاجرة بيننا، من تلك التي المشاجرات الصغيرة المعتادة بين الأزواج، ستبكي على نحو لم أتوقعه. كنت مندهشاً من دموعها، وحائراً

أفكر في الطريقة التي أرضيها بها. ترفع عيناها المبللتان بالدموع كأنما لتنقذني من ارتباكي: هل تريدني أن أذهب بهذا المنظر إلى أبي كي يقتلك؟

لا أدري إن كانت الطريقة التي اندفعت بها لتقبيلها يمكن تسميتها بالاعتذار، لكننا ضحكنا للحظة قبل أن تكتم القبلة قهقهاتنا، كنا نقهقه ونتبادل قبلاً عميقة محمومة في آن واحد، ثم لم نتوقف عن ذلك بعد أن استلقينا على الكنبة في الصالون. من تلك الضحكات المكتومة بالقبل أتى ابننا البكر جان.

رواية تغريبة القافر
حصدت جائزة البوكر العربي

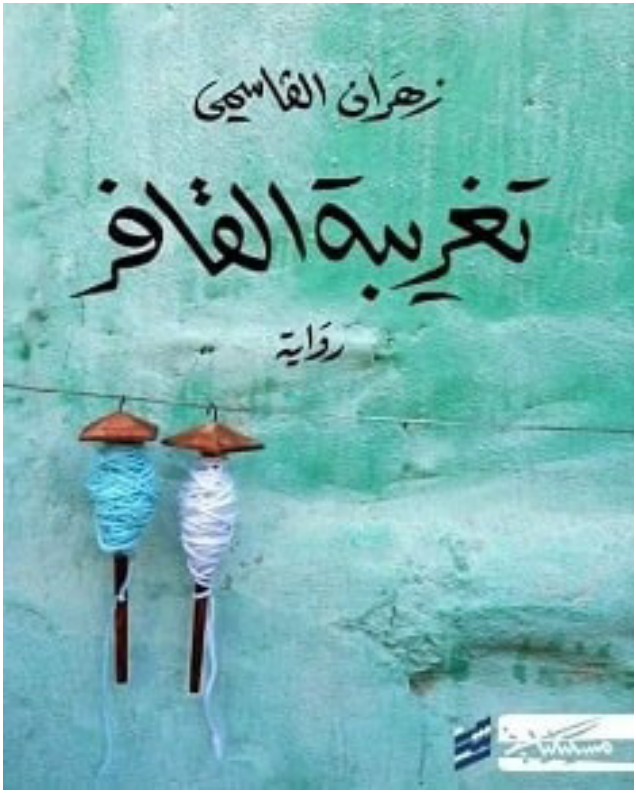

تجسّد رواية تغريبة القافر للروائي والشاعر العُماني زهران القاسمي (التي حازت على جائزة البوكر ٢٠٢٣) لوناً من التراث القصصي العربي،

هي رحلة نحو ما يدحر وحشة العطش، وبحثٌ مستمرٌّ عن الماء الذي يُقام به أود الحياة.

في الرواية: تُصاب مريم بنت حمد ود غانم بألمٍ نابضٍ في دماغها (داء الشقيقة) لاينجع معه إلا أن تطرح رأسها في الماء، وقد زاد مُصابها حتى صارت تهذي وتسمع أصواتاً تناديها؛ كان آخرها صوتاً جاءها من بئرٍ بعيدة فاستجابت له بعقلٍ مغيّب فوجدت نفسها صريعةً غريقةً في القعر.

احتشد القوم عند فم البئر وانبرى الوعري لإنقاذ المتردّية، وعندما صارت بين أيديهم قالت خالتها عائشة أنّ في بطن مريم جنينٌ حي، فاختلف الحاضرون بصدق حدس الخالة حتى قامت إليها إحداهنّ وبقرت بطنها وأخرجت منه صبيّاً موفور الصحة ينبض بالحياة؛ فأسموه سالماً تيمّناً بسلامته وكفِلته عمة الغريقة كاذية بنت غانم حتى صار رجلاً.

كان لسالم بن عبد الله حاسة سمعٍ رهيفة تصل به إلى لباب الأشياء وجوهرها، كان يسمع خرير الماء وجريانه في أفلاج الأرض حتى صار تُكلان أهل القرية عليه أيام المحل ليقتفي لهم مواطن تجمّع الماء في صدوع الغبراء اليابسة. وهكذا مضى اسمه بين الناس القافر.

في عباب فضاء الرواية قصص حبٍّ شتى، حبّ المرضعة آسيا بنت محمد لزوجها الذي هجرها ثم حنّ لمعشرها بعد طول فراق. والحب العذري الكتيم بين كاذية والوعري والذي ظلّ مطويّاً لايعترف به أحدهما لصاحبه. وحبّ سالم لزوجته نصرا بنت رمضان والتياعه بانتظار نظرة قبولٍ من وجهها الفاتن الخلّاب. وغيرها كثير من قصص الحبّ، لكنّها بالمجمل لا تجعل من ثيمة الرواية حكاية عشق بقدر ما هي هجرانٌ وصدٌّ وبحثٌ دؤوبٌ عن الماء في براري الأرض وسهوبها. الماء الذي هو أسُّ الحياة ومعناها.

في الرواية أيضاً قفزاتٌ زمنيةٌ حادة درجة أنّنا نلحظ مرّ السنون المثابرة على الإنقضاء بين فصلٍ وآخر، وجميلٌ ما سيجده قارئ الرواية من أنّ زمن الأحداث مرتبطٌ بحضور الماء وغيابه، وأنّ أعمار النّاس تحددها التجارب وعقبات الحياة لاتوالي الأيام.

لايسع المتأمّل في الرواية إلا أن ينبهر باللغة الحكيمة التي استخدمها الكاتب. هي لسانٌ ينطق من وحي البيئة، ويبدو أن زهران القاسمي توخى تخيّر المفردات ذاتها التي اصطلح أبناء المنطقة على توارثها حتى لو استعصى على غير العُماني فهمها، كما زيّن نصّه بمفرداتٍ عاميّة لم تزعج النص ولم توغل كثيراً في المحكي. ولم يحرص على استخدام لغةٍ شاعرية ولو أراد لفعل ونعلم أنّ في رصيده دواوين شعرٍ عدّة.

هذه الرواية وأمثالها تشكّل إضافةً مُنتظرة للمكتبة العربية، من حيث أصالة موضوعها وطريقة معالجته الأدبية والدرامية، كما هي أرشفةٌ لمفرداتٍ محكيّةٍ كاد يُخشى عليها من الاندثار لزوال المهنة التي ارتبطت بها. وصريح القول أنّ الرواية تستحق جائزة البوكر التي نالتها، كما يستحق كاتبها الاحتفاء والتكريم لأنه قدّم مغامرةً -أدبيّةً- شكليّةً وتجريبيةً تغطي على الاستهتار الأدبي الذي أنهك الرواية العربية خلال العقدين المنصرمين؛ لكنّه عملٌ بديعٌ يتيم ضمن جوقة نشرٍ شديدة القتامة والدمامة، والزهرةُ لا تصنع ربيعاً. باختصار تغريبه القافر هي رواية لا تمارس على القارئ مهنة الواعظ المتفلسف، بل تنقل له وقائع صادقة من بيئةٍ تغشاها أطوارٌ من السلام والتعب تماماً كما السماء التي تجود علينا طلّاً، أو تقلع فتلد سنيناً عِجاف. الرواية قد صدرت عن دار مسكلياني وتقع في ٢٣٠ صفحة من القطع المتوسط.

قصة

سارة البصيرة

قاصة ومترجمة

أفين علو

في بيت بسيط، عظيم بأهله، ولدت سارة، وسلّمت طفولتها للقدر كباقي أطفال جلدتها، ورغم حبّها للحياة، إلا أنها كانت تراها من زاوية ثابتة

وضيّقة وهذه السمة ميّزتها عمن حولها.

اجتهدت سارة بين قريناتها، يميّزها ذكائها وجمالها، وسعيها الدؤوب لإثبات نفسها، وجلّ همّهما هو إسعاد والديها اللذين عبرا بها إلى برّ الأمان.

كبرت سارة والتفوق قرينها وازدانت حديقة الجامعة بصدى ضحكتها، سارة التي أكملت تخصصها في اللغات، لكن لغة روحها الكردية بقيت عصيّة الفهم على من حولها، ومن ذا الذي يفقه لغة روحٍ رضعت من ثدي الحرب ولم تهدأ في حلّها وترحالها.

مرّت السنون، وكثرت الشجون، وبقي حلم مساعدة الأهل هاجسها الوحيد.

وبعد بحث مضن احتضن مركز الترجمة حلمها، حيث الجدّ والنشاط سِمَتاها لسنين ثلاث، لم تبدِ أي تقصير ولم يُلاحظ عليها شيء سوى أنها تعمل أكثر من ساعات الدوام المقرّرة برضى وسعادة.

سنين ثلاث، وقبلها الكثير، وهي لا ترى من العالم سوى نصفه، تكدّ وتتفوق حتى في الترجمة،

لينهب المركز من عمرها ثلاث سنوات، دون أن يشعر بمعاناتها أحد.

كانت سنينا ثقيلة، ويكاد ضغط العمل يأتي على ما تبقّى من نور عينها السليمة إن هي استمرت، ومع ذلك فهي مستمرة.

نهشت الحيرة روحها...! ماذا عساها أن تفعل، استمرارها في العمل يعني أنها ستفقد الرؤية، رؤية كل ما هو جميل في حياتها.. والديها وأصدقائها.

كان القرار صعبا، تركت العمل لتحافظ على ما تبقى من جمال الحياة وبصيص الأمل، ومن يدري، لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

قدمت سارة ورقة الاستقالة لمديرها، فقوبلت بالرفض لعدم ذكر سبب مقنع. اضطرت أخيرا أن توضح له بأنها تعمل منذ ثلاث سنوات بعين واحدة وان استمرارها في العمل يعني أن تسير بقدميها نحو الهاوية.. العمى.

وانتظرت سارة من مديرها أخباراً سارة.

وكانت الصاعقة، قوبل الطلب بالرفض مذيلا بعبارة: ترك العمل خيانة للوطن والقضية،

وقفت سارة مذهولة منهارة أمام ما نسب اليها من اتهام وجرت دموعها سخية على خد الوطن.

ضغطت على جرح الوطن النازف في قلبها، لملمت شتات روحها، ومضت وهي تتمتم: فلتمت سارة وليحيا الوطن.. وليحيا الوطن!

شعر

شاعرة وفنانة تشكيلية

لبنى ياسين

يحبسني الحزنُ
قصيدةَ حبٍ مستباحة
مهدورٌ دمها
يسجنني الشوقُ
تراتيلَ غيمةٍ منسيةٍ
ما زالتْ تعدُ بالمطر
ولا تفي بوعدِها
يمارسُني الوجعُ
قيداً من حديدٍ
ويراودني
أرقُ الأسِرَّةِ حينَ تباغتها غربةُ الليل
ينسجني الحنينُ
قافيةً لا حروفَ فيها
وتضيعُ الكلماتُ
وأتوارى
بينَ كفيكَ
فيمسكني الضوءُ
ظلاً لا صوتَ لخوفه

*

تربكُني تلكَ الأسئلةُ النزقة
التي لا تؤرّقُها الإجابات
تسافرُ في أروقةِ الوهم

تبحثُ عن أوجاعها المضجرة
تتلذَّذُ بالصمت
وتفقدُ نصاعةَ الحلم
دونَ أنْ يخالجَها وجعٌ
فأتوهُ في صحرائِك
أربعينَ أغنية للمطر
*
كما أنتَ أيها الموغلُ في دمي
تمطرنِي فرحاً مزيفاً
تخرجُ عليَّ من زواياىَ القصية
تمدُّ ليَ يدَ الوجدِ
تقضمُ أصابعَ قلقي
لكي أستطيعَ أنْ أحتسيَ الوهم
تمزجُني حلماً جامحاً
وتبعثرُنِي خطيئةً تبحثُ عن المغفرة
وتبقى كما أنت
عشبةً وحشيةً
نبتتْ في صدري دونَ استئذان

دهشة
لا شيءَ يشتعلُ في ضلوعي

غير تلكَ الأصابع القاسية
فيا لدهشتِي منْ تلكَ الأصابع

ظلال
لليلٍ ينثرُ الياسمينَ في دروبِ الوسن
لقلبٍ يخفي وهجَ الشمس تحتَ جناح لهفة
لأناملَ تبعثرُ الدهشةَ فوقَ كفوفِ الغيم
لصوتٍ ينحتُ تفاصيلَه على جدارِ الصمت
هل سيبقى ظلٌ للفرح
حينَ يرحلُ الضوءُ معك؟

شهقة حزن
ننتهكُ وحشةَ الليلِ
كلما أمعنا في مقارعةِ الضوءِ
لندركَ أكثرَ كيفَ تكونُ العتمة
شهقةَ حزنٍ
كلما مارسنا غوايةَ الحلم
كما المرة الأولى
كما العشق الأول
كما رحيلِ الحزن
إلى الجانبِ الآخرِ من القلب.

فنان ولوحة

الفنان التشكيلي رحيمو حسين

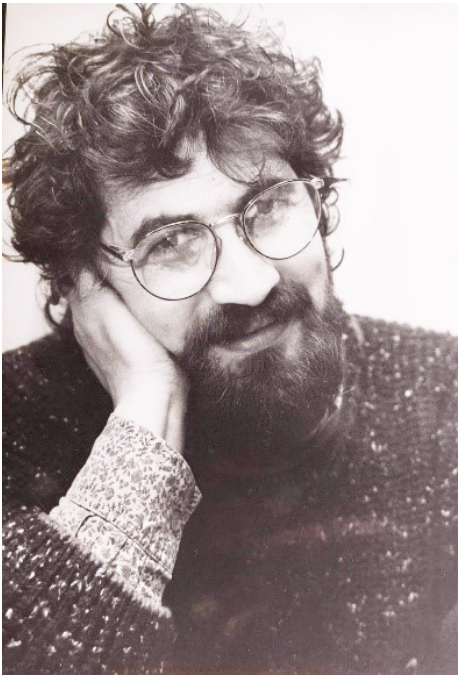

يعد الفنان التشكيلي رحيمو حسين من الفنانين المبدعين، الذين يعملون بصبر وبصمت. والذين تنضح أعماله بالألوان والأجواء الاجتماعية الكوردية.

الفنـان مـن مواليـد مدينـة عامـودا ١٩٦٢ فـي روجآفـاي كردسـتان. خريـج كليـة الفنـون الجميلـة سـنة. ١٩٩١ – مـن قسـم التصويـر بجامعـة دمشـق.

نـزح مـن سـوريا لاجئـاً إلـى بلجيـكا فـي سـنة ١٩٩٣. أقـام عـدة معـارض فرديـة، وهـي:

- في مسقط رأسه بمدينة عامودا سنة ١٩٩٣.
- في المكتبة العامة في مدينة Lovin بلجيكا ٢٠٠٧
- معرض بعنوان حرائق عامودا في بلجيكا ٢٠١٦

Hotel communal Îtirbêk

- معرض فردي چيراف galêrî la gîrafê سنة ٢٠١٧
- وكذلك معرض في المركز الثقافي ببروكسل ٢٠١٩

كمـا شـارك الفنـان رحيمـو فـي عـدة معـارض جماعيـة فـي كل مـن: دمشـق، بروكسـل، درسـدن، هانوفـر، والسـويد. وذلـك ما بيـن أعـوام (١٩٩٢-٢٠١٨)

وشارك أيضاً:

- في مهرجان الثقافة الكردية مدينة ساند ڤيگن السويد ٢٠٠٤

- ملتقـى كردسـتان الدولـي فـي مدينـة آمـد (ديـار بكـر) فـي شـمالي كردسـتان ٢٠١٥

هذا وقد حازت أعماله على عدد من الجوائز:

- الجائـزة الثانيـة لفنانـي المهجـر فـي بلجيـكا سـنة ٢٠٠٠، حيـث تـم عـرض الأعمـال الفائـزة فـي متحـف مدينـة îper بلجيكا.

كمـا عمـل الفنـان لسـنوات فـي تصميـم وتنفيـذ الديكـور فـي إسـتديوهات

التلفزيونـات الكورديـة Med tv- mîdya tv, - roj tv فـي ببروكسـل.

تـم اقتنـاء أعمالـه فـي عـدد مـن دول العالـم: سـوريا، لبنـان، تركيـا، قبـرص، المانيـا، اسـتراليا، إيطاليـا، هولنـدا، فرنسـا.

إصدارات جديدة

يوسف جلبي: قصة إبداع

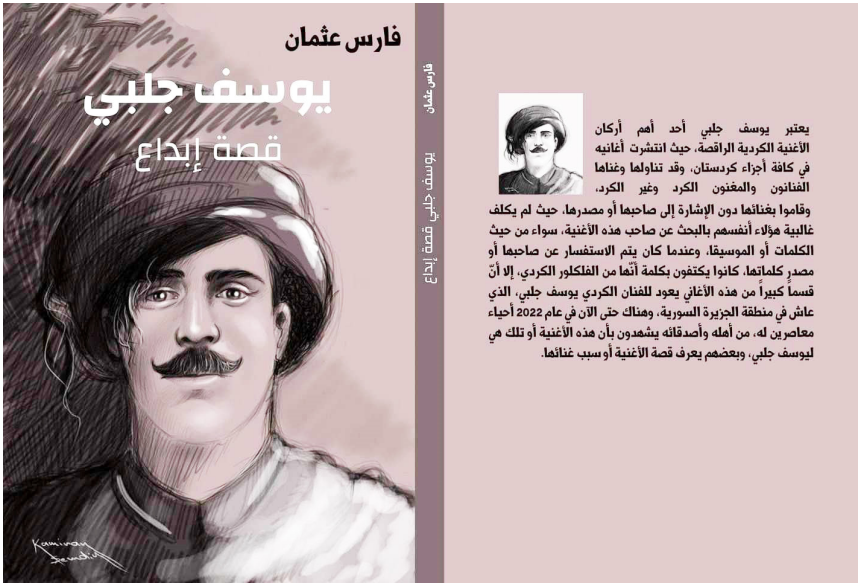

الكتاب من تأليف الأستاذ فارس عثمان.

يعد من الكتب النادرة التي تناولت شخصية فنية شعبية، ومغني مبدع من النصف الأول للقرن العشرين. وهو يوسف جلبي (١٩٢٧ – ١٩٦٢) الذي قتل تحت التعذيب على يد جلاوزة المكتب الثاني كضريبة لمواقفه السياسية. اعتقل في ٥/٦/ ١٩٦٢والقيت جثته ليلة ٥/١٦/ ١٩٦٢ أمام منزله.

انتشرت أغانيه قبل وبعد موته في كل أرجاء كوردستان. وغيب اسمه لأسباب متعدد. ومن هذه الزاوية يشكل هذا الكتاب احياء لشخصية غيبت جسدياً وروحياً.

يقع الكتاب في عدة فقرات مطولة بمثابة الفصول: -التراث الشفاهي

الكـردي الفلكلـور – بيئـة الفنـان يوسـف جلبـي – السـيرة الذاتيـة للفنـان يوسـف جلبـي – بعـض الأغانـي المشـهورة ليوسـف جلبـي – قصـة أغنيـة يـار دلـي – نهايـة الفنـان يوسـف جلبـي – الفنـان حزنـي شـيخي – الفنـان سـعيد كابـاري – مختـارات مـن أغانـي الفنـان يوسـف جلبـي: والكتـاب يعالـج عشـرة أغانـي لـه. وهـي جميعـاً باللغـة الكورديـة. صـدر الكتـاب فـي قامشـلو ٢٠٢٣. ويقـع فـي ١٤٤ صفحـة مـن القطـع الصغيـر. ويعـد إضافـة للمكتبـة الكورديـة.

الأحاديّة الأميركيّة في طريقها إلى الزوال خلال سنوات قليلة!

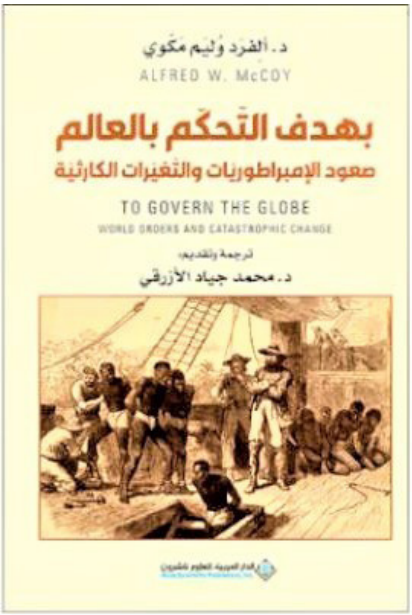

ألفرد وليم مكّوي

المؤرخ والباحث مكّوي يرى أنها مهددة بـ«الصعود الصيني»

رامي الريّس

في كتاب ضخم يجمع بين العناصر التاريخيّة والواقع السياسي الراهن، وصولاً إلى القضيّة التي تشغل العالم؛ أي التغيّر المناخي، أصدر المؤرخ والباحث الأميركي ألفرد وليم مكّوي Alfred W. McCoy كتاباً جديداً

بعنوان «بهدف التحكّم بالعالم: صعود الامبراطوريات والتغيّرات الكارثيّة» (الدار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٢٢).

الكتاب ليس الأول للباحث الأميركي الشهير المتخصص بتاريخ الفيليبين والسياسة الخارجيّة الأميركيّة، كما أنه متابع دقيق للقضايا التاريخيّة في مجال الاستعمار الأوروبي لجنوب شرق آسيا وملفات التجارة الدوليّة للمخدرات، فضلاً عن العمليّات السريّة لـ«وكالة الاستخبارات المركزيّة» الأميركيّة.

ويشتهر المؤلف بنظريته القائلة بتوقع انهيار الإمبراطوريّة الأميركيّة في نهاية العقد الحالي، معللاً ذلك «بالصعود الصيني» الذي سيكون أكبر من الاقتصاد الأميركي بنسبة ٥٠ ٪ على الأقل بحلول عام ٢٠٣٠، مستنداً بذلك إلى الأرقام التي تعلنها الشركة المحاسبيّة الدوليّة المعروفة «برايس ووتر هاوس كوبرز»، مذكّراً بأن الصين قد سبقت الولايات المتحدة منذ الآن بتصنيع الصواريخ البالستيّة، وفي مجالات تطوير أسطولها البحري.

في معرض مقارنته بين الصين والولايات المتحدة، يقدّم مكّوي سرداً تاريخيّاً يثبت من خلاله انكفاء الصين، منذ أن وضعت حرب فيتنام أوزارها، عن الانغماس في الحروب والنزاعات العسكريّة في بقع جغرافيّة مختلفة حول العالم، على عكس واشنطن التي قلّما وفرت أية قارة من القارات الخمس من تدخلاتها؛ إما المباشرة أم غير المباشرة في عدد من الدول، وصولاً إلى قلب أنظمة الحكم عبر تشجيع الانقلابات المحليّة، أو حتى «الفوضى» بشكل أو بآخر.

والمذهل في مقارنات الباحث الأميركي تفصيله للحسابات الاستراتيجيّة الخاطئة للسياسات الخارجيّة الأميركيّة التي أنفقت أكثر من ١٠ تريليونات دولار في سبيل حماية النفط، بينما تقدّمت الصين في تنفيذ مشروعاتها

العملاقة؛ وفي طليعتها مبادرة «الحزام والطريق» التي تبعث من جديد الأحلام الإمبراطوريّة الصينيّة دون تكبّد عناء المواجهات العسكريّة وخسارة الجنود، بل من خلال «السيطرة الناعمة» بكثير من الهدوء والتروي.

ومن الأمثلة الحيّة الأخرى عن طبيعة التفاوت السياسي والاستراتيجي بين واشنطن وبكين، هو إنفاق الأولى ما يناهز ٨ تريليونات دولار في أفغانستان في حرب أفضت في المحصلة النهائيّة إلى إعادة «طالبان» إلى الحكم بعد سنوات عدة وخسائر هائلة في الأرواح والممتلكات، بينما الصين أحاطت أفغانستان بخطوط الإمداد من كل الاتجاهات، وانتظرت بهدوء السقوط الأميركي لتكون أول المستفيدين منه.

ولكن، على الرغم من كل هذه المؤشرات التي يتحدث عنها الكاتب حيال الصعود الصيني الصاروخي، فإنه يتوقع ألا تطول الهيمنة الصينيّة لأكثر من عقدين من الزمن، خصوصاً مع تفاقم مشكلة الاحتباس المناخي وانعكاساته البيئيّة والاقتصاديّة الكبيرة، والتي سيكون من الصعب تجاوزها أو إشاحة النظر عنها، كما يجري حالياً. فبمعزل عن الآلة الإعلاميّة التي حاولت تصوير القمّة المناخيّة الأخيرة في شرم الشيخ على أنها حققت نجاحات باهرة، إلا أنها اقتصرت، كسابقاتها، على الوعود الكلاميّة التي نادراً ما لا تشق طريقها إلى التنفيذ.

إزاء كل ما تقدّم، كيف سيكون شكل «النظام» العالمي الجديد عندئذٍ؟ تحافظ واشنطن على حضورها القوي، إنما في حدود أميركا الشماليّة، وتركز الصين، في المقابل، قوتها في غرب المحيط الهادئ والمحيط الهندي، كما تهيمن البرازيل على أميركا اللاتينيّة، وموسكو على أوروبا الشرقيّة (في استعادة مشابهة لحقبة الحرب الباردة)، ونيودلهي على جنوب آسيا، وطهران على آسيا الوسطى، وبريتوريا على جنوب القارة الأفريقيّة،

فـي حيـن يتوسـع نفـوذ أنقـرة والقاهـرة علـى الشـرق الأوسـط دائمـاً، وفـق تحليـل الباحـث الأميركـي.

تتـوزّع أعمـال الكتـاب علـى سـبعة فصـول: إمبراطوريـات ونظـم عالميّـة، العصـر الآيبيـري، إمبراطوريّـات التجـارة ورأس المـال، بريطانيـا تتحكـم بالبحـار، عصـر الهيمنـة الأميركيّـة، نظـام بكيـن العالمـي، تغيّـر المنـاخ فـي القـرن الحـادي والعشـرين. ويتصـدّر الكتـاب مقدمـة دراسـيّة شـاملة للمترجـم الدكتـور محمـد جيـاد الأزرقـي؛ وهـو أسـتاذ جامعـي مقيم فـي الولايـات المتحدة.

الفهرس

الافتتاحية		
١٠٠ عام على معاهدة الغدر	أسرة التَّحرير	٤
ملف العدد: **مائة عام على لوزان... قرن يفيض بمجازره**		
الكرد ولوزان بعد قرن	فارس عثمان	٨
استقلال كوردستان العثمانية بين سيفر ولوزان	د. آزاد أحمد علي	٢٥
حوارات		
حوار مع الدكتور محمد حبش	أجراه: محمد دلي	٧٧
دراسات		
إسكان العشائر الكوردية والعربية في الجزيرة السورية من العهد العثماني إلى نهاية القرن العشرين	علي شيخو برازي	٩٣
الآلهة الكبار في الشرق القديم	محمد عبد الله العزو	١٠٥
شهادات		
رأي المناضل الشيوعي السوري الراحل مراد يوسف (١٩٢٨- ٢٠٠٨)حول القضية الكردية		١١١
اقتصاد		
أثر خطر سعر الفائدة على أداء محفظة الأوراق المالية	سي مر آزاد علي	١١٨
شخصيات كردية		
شريف باشا شعلة النور في التاريخ الكوردي المعاصر	نوجدار بوتاني	١٢٣
صالحة خاتون بانيةُ دير عطية		١٢٨
قراءة في الكتب والمطبوعات والوثائق		
رواية «المهزومين» ... قصة حزب العمل الشيوعي في سوريا	بنكين حمزة	١٣١

أدب وفن		
من رواية «الشهيدان عُمَر قدُّور»		١٤٠
رواية تغريبة القافر حصدت جائزة البوكر العربي		١٤٧
قصة: سارة البصيرة	أفين علو	١٥٠
شعر: شعر	لبنى ياسين	١٥٣
فنان ولوحة: الفنان التشكيلي رحيمو حسين		١٥٧
إصدارات جديدة		
يوسف جلبي: قصة إبداع		١٦١
الأحاديّة الأميركيّة في طريقها إلى الزوال خلال سنوات قليلة!	رامي الريّس	١٦٣